المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الملك فيصل
عمادة الدراسات العليا



الفتح الإسلامي للسند في العصر الأموي من خلال كتاب (فتحنامه سِند) للكوفي

(دراسة تاريخية مقارنة)

إعداد الباحث: فلاح بن علي الشمري

(قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في تخصص التاريخ الإسلامي – قسم الدراسات الاجتماعية – كلية الآداب – جامعة الملك فيصل)

إشراف: أ.د. محمد نصر عبد الرحمن جاد

١٤٣٧هـ / ٢٠١٥ م

الفتح الإسلامي للسند في العصر الأموي من خلال كتاب فتحنامة سند للكوفي (دراسة تاريخية مقارنة)

إشراف : أ.د. محمد نصر عبد الرحمن جاد

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ / / ١٤٣٧ هـ الموافق / / ٢٠١٥ م. وتم إجازتها.

أعضاء لجنة التحكيم

م	العضو	صفته	التوقيع
١	أ.د. محمد نصر عبد الرحمن جاد	مشرفاً ومقرراً	
٢	أ. د محمد بن ناصر بن أحمد الملحم	ممتحناً خارجياً	
٣	أ. د حاتم عبد الرحمن الطحاوي	ممتحناً داخلياً	

بسم الله الرحمن الرحيم

وقل ربي زدني علماً

ملخص الرسالة

يعد الوجود الإسلامي في السند واحداً من أهم موضوعات التاريخ الإسلامي ، نظراً لأنه كان مقدمة لوجود إسلامي طويل الأمد في هذه المنطقة ، وفاتحة لتوسع المسلمين بعدها جنوبا متعمقين في الهند. لذلك حظى فتح السند باهتمام كثير من المؤرخين المسلمين ، الذين أفردوا له بعض أجزاء من كتبهم ، خاصة كتب الفتوح الإسلامية.

وينصب اهتمام هذه الاطروحة على دراسة واحد من أهم المصادر الإسلامية الخاصة بفتح السند ، وهو كتاب " فتحنامه سند " ، والذى خصصه مؤلفه (الكوفي) للحديث عن فتح السند خلال العصر الأموى. حيث نحاول أن نحلل منهجياً هذا المصدر من حيث محتواه ، ومصادره ، ومنهجه ، وأخيراً مقارنة الروايات الواردة به بالروايات الخاصة بفتح السند في المصادر الإسلامية الأخرى.

وستحاول الدراسة أن تبتعد عن الشكل التقليدي في دراسة فتح السند بالتركيز على تحليل المصدر نفسه ونقده نقداً موضوعياً باعتباره من أكثر المصادر المتاحة لدينا التي تعرضت لفتح السند بكثير من التفصيل الذى لم يتاح لأى مصدر آخر ، حتى من كتب الفتوح الشهيرة كالبلاذري وغيره.

ومن خلال الاعتماد على أهم المصادر والمراجع المتعلقة بالموضوع ، يأمل الباحث أن يقدم للمكتبة العربية دراسة تحليلية منهجية جديدة ، لواحد من أهم المصادر التاريخية المتعلقة بواحدة من أهم المناطق في العالم الإسلامي.

English Abstract

Islamic presence in Sind is one of the main themes of Islamic History, since it was an introduction to the long Islamic presence in this region, and the beginning of the Islamic expansion in south India. So many historians have interest in the conquest of Sind, and they allocated some parts of their books for it, especially books of conquests.

The focus of this thesis on the study of one of the most important Islamic sources, The book " Fathnamh " for Kufi," which allocated to talk about the conquest of Sind during the Umayyad period. Where we are trying to systematically analyze this source in terms of its content, and its sources, method, and finally compared the novels contained by the novels of conquest of Sind in the other Islamic sources.

Researcher will try to avoid the traditional form in the study of conquest of Sind, focusing on the analysis of the source itself and criticism objectively as one of the most available sources we have, which reported conquest of Sind with much detail, which did not found in any other source, even Al-Balazury and Ibn A'tham and others.

In addition to the analysis of this source we will try to put a geographical background of the study area, as well as it's history before the study period, in terms of being analytical historical study.

Researcher hopes to submit to the Arabic library a new analytical methodology study for one of the most important historical sources relating to one of the most important areas in the Islamic world by relying on the most important sources and references on the subject

فهرس المحتويات

المقـــدمــة

يقول ابن كثير في كتابه (البداية والنهاية): " كانت سوق الجهاد قائمة في بني أمية ، ليس لهم شغل الا ذلك ، وقد علت كلمة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها وبرها وبحرها ، وقد أذلوا الكفر وأهله " انتهى كلامه – رحمه الله.

شهد العصر الأموي فتوحات كثيرة في أقاليم عديدة ، ويسند الفضل – بعد الله عز وجل – الى الخلفاء الأمويين في نشر الإسلام في أرجاء المعمورة ، ومن تلك الأقاليم التي انتشر فيها الإسلام في عهد الدولة الأموية ، إقليم السند والذي يمثل الوجود الإسلامي فيه موضوعاً بالغ الأهمية ؛ وذلك بسبب الحقبة الزمنية الطويلة للوجود الإسلامي في ذلك الإقليم.

وقد اهتم المؤرخون بالتأريخ لفتح السند ، وخصصوا له أجزاءً من كتبهم ، خاصة كتب الفتوح مثل: كتاب البلاذري (فتوح البلدان) ، وكتاب الكوفي (فتحنامه سند) ، الذي يعد من أهم المصادر التاريخية التي تناولت فتح السند خلال العصر الأموي ، والتي حوت تفاصيل دقيقة عن الفتح لم يذكرها مؤلف غيره.

وسوف يتناول الباحث – بإذن الله– في دراسته مراحل فتح السند من خلال الكتاب الأخير مقارنة مع باقي المصادر الأخرى ، ثم يسلط الضوء على هذا المصدر، محللاً إياه تحليلاً منهجياً ، من حيث مصادره ومنهجه واسلوبه ، ومن حيث ما احتوى

عليه من روايات وقصص ، ومن ثم مقارنة تلك الروايات التي أوردها بغيرها من الروايات الخاصة بالفتح الإسلامي للسند في المصادر التاريخية الأخرى٠

ويرجع اهتمام الباحث بهذا المصدر؛ لأنه من أكثر المصادر التاريخية المتاحة لدينا التي تعرضت لفتح السند بالكثير من التفاصيل الدقيقة ، والتي لم تتاح لأي مصدر آخر ، حتى من كتب الفتوح الشهيرة كالبلاذري وابن أعثم وغيرها٠

أما بالنسبة للدراسات السابقة حول هذا الموضوع فهي قليلة ، واغلبها يركز على الفتح نفسه ، وتفتقد المكتبة العربية لدراسات مهمة لكتاب الكوفي ومنهجه ، وفي هذا المجال هناك دراستان تقتربان من مجال هذا البحث وهما:

الدراسة الأولى : قام بإعدادها الباحث التوم الطالب محمد بعنوان (فتح إقليم السند) وانتشار الثقافة العربية الإسلامية ، وهي منشورة بمجلة (المؤرخ المصري ١٩٨٩م) وهي دراسة عامة تتناول محاولات فتح السند وانتشار الإسلام فيه بعد ذلك ، ووجه الشبه والاتفاق بين هذه الرسالة وبحثنا هو فتح السند ودخول الإسلام الى ذلك الإقليم ، لكن هذه الدراسة لم تعتمد على كتاب الكوفي ، لذلك نجدها قد خلت من الكثير من التفاصيل والتي تميز بها كتاب (فتحنامة سند) ، وكذلك تختلف عن بحثنا من الناحية المنهجية والتفصيلية٠

الدراسة الثانية: والتي قام بها وأعدها الدكتور: سعد الغامدي بعنوان (الفتح الإسلامي لبلاد وادي السند) وهي منشورة بحوليات كلية الآداب – جامعة الكويت – ١٩٨٨م٠ ورغم أن هذه الدراسة اعتمدت على كتاب الكوفي بشكل عام من خلال الترجمة الإنجليزية لكتاب (فتحنامة سند) للمستشرق الإنجليزي إليوت ، الا أنها لم تكن دراسة شاملة لكل وقائع الفتح ، ولم تتعرض بالطبع للناحية المنهجية لكتاب الكوفي ، أو المقارنة بين ما ذكره الكوفي ، وما جاء بالمصادر الأخرى.

وسوف يقوم الباحث بتقسيم الدراسة الى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة ، تتبعها قائمة بالمصادر والمراجع.

ويتناول الفصل الأول ، جغرافية بلاد السند وأهم مدنها ، حتى تكون عوناً في فهم أحداث الحملات وطرقها ومواقعها. كما يشتمل الفصل على محاولات فتح بلاد السند قبيل العصر الأموي ، أي تلك المحاولات التي كانت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ، والخليفة عثمان بن عفان –رضي الله عنه– ، والخليفة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – . كذلك معرفة أحوال بلاد السند من النواحي السياسية والاجتماعية والدينية وذلك قبل أن يصلها الفتح الإسلامي ٠

ويتناول الفصل الثالث فيه عملية فتح إقليم السند ذاتها ، وذلك من خلال ما ورد في كتاب (فتحنامة سند) والمصادر التاريخية الأخرى ، حيث يستعرض الحملات

الأموية لفتح السند قبل عهد الحجاج بن يوسف الثقفي ، والحملات الأموية لفتح السند في عهد الحجاج ، مع بيان الحملة الرئيسية على السند خلال هذه العصر ، وهى الحملة التي قام بها القائد الشاب محمد بن القاسم الثقفي ، وعرض أسبابها والتجهيز لها ، ووقائع تلك الحملة ونتائجها وما ترتب عليها.

ويشتمل الفصل الثالث على نافذة تاريخية تعريفية بالمؤلف نفسه (الكوفي) ، من خلال بيان حياته وأعماله ، وتسليط الضوء على منهج الكوفي التاريخي في كتابه وأسلوبه ، مع ذكر مصادره التي اعتمد عليها في نقل الروايات والأخبار والأحداث.

وقد اعتمد الباحث في دراسته – بعد الاعتماد على الله عز وجل – على بعض المصادر التاريخية المعاصرة واللاحقة لفترة الدراسة ، بالإضافة الى الاستعانة بالدراسات الحديثة والاستفادة منها ، من أجل عمل دراسة تاريخية مميزة خاصة بكتاب (فتحنامة سند) ، وكذلك الفتح الإسلامي للسند في العصر الأموي. ومن هذه المصادر على سبيل المثال:

كتاب " فتوح البلدان " للبلاذرى (ت. ٢٧٩هـ / ٨٩٢ م)[1]، وهو من أهم كتب الفتوح الإسلامية ، وقد حوى جزء كبير عن الفتح المبكر للسند ، وتاريخ المسلمين هناك . وقدم للدراسة مادة قيمة خاصة بوقائع فتح السند ، والعلاقة بين الفاتحين

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، تحقيق رضوان محمد رضوان ، بيروت ١٩٧٨ ، ص٤٢٣.

العرب والسكان المحليين ، وكذلك انتشار الإسلام فى الهند . وقد اتسم منهج البلاذرى بالتقليدية التي كانت هى السمة الغالبة على كتاباته ، ويظهر ذلك فى اهتمامه بأسماء الأشخاص الذين قادوا الحملات الإسلامية على السند ، وبعض الملاحظات الخاصة بهم ، على حساب تفاصيل تلك الحملات ؛ كذلك لم يهتم بتفاصيل التطور المبكر للإسلام فى الهند . بجانب ذلك إهماله فى التحقق من أسماء الملوك الهنود فى رواياته ، برغم أن تلك الصفة تلتصق بمعظم المؤرخين الذين تعرضوا للحديث عن الهند . مما أدى لتضارب تلك الروايات مع الروايات الهندية.

زد على ذلك كتاب اليعقوبى (ت. ٢٨٤هـ / ٨٩٧ م) " تاريخ اليعقوبى " [١]، الذى قدم لنا بعض التفاصيل عن فتح السند فى الفترة المبكرة ، وكذلك فى العصر الأموي ، ورغم أهمية المادة التى يقدمها لكنه – مثل باقى المصادر الأخرى – كان شديد الاختصار فى التفاصيل فى الفترة السابقة للعصر العباسي.

وكذلك كتاب الطبرى (ت. ٣١٠هـ / ٩٢٣ م) " تاريخ الأمم والملوك "[٢]، وهو من رواد المدرسة التاريخية الحولية ، التي تؤرخ للأحداث بحساب السنين. ورغم أهميته لدارس التاريخ الإسلامى ، فإن المادة التى قدمها عن السند وعلاقة المسلمين بها لا تعدو أن تكون مجرد شذرات ، كانت محصورة فى مناسبات معينة ، مثل

---

(١) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبى ، ج١ ، بغداد ١٣٥٨هـ.

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ١ ، تحقيق محمد أبو الفضل ، القاهرة ١٩٧٧.

إشاراته المقتضبة للحملات الإسلامية على السند ، وأسماء من تولى ولايتها ، دون أن يقدم تفصيلات لتلك الأحداث.

وهناك كتاب ابن خياط (ت.٢٤٠هـ / ٨٥٥ م) " تاريخ ابن خياط "[١]، وهو من المدرسة التاريخية الحولية أيضاً ، وقد تضمن كتابه بعض الأخبار عن الحملات الأموية على السند. ورغم أنه كان دقيقاً – إلى حد ما – فى تحديد تاريخ كل حملة ، إلا أنه يعيبه ميله أحياناً للاقتضاب الذى يصل إلى حد الغموض.

بجانب ذلك ، اعتمد الباحث على عدد كبير من المراجع الحديثة ، العربية والأجنبية ، والتي أفادت الدراسة فى النواحى النقاشية ، والآراء المتعلقة بالدراسة ، والتي أثرت – بلا شك– نواحي الدراسة ، وأكملت جوانب النقص فيها.

ويتطلع الباحث في هذه الدراسة الى توثيق جهود المسلمين وعملهم الدؤوب في فتح هذا الإقليم ونشر الإسلام هناك ، من خلال تناول مصدر من أهم المصادر التاريخية لتلك الحقبة الزمنية ، ولذلك الوجود الإسلامي هناك بطريقة منهجية ودراسة مقارنة. وكذلك الرغبة في تزويد المكتبة العربية وإثرائها بمثل هذه الدراسات المنهجية النقدية بعيداً عن محاكاة الدراسات السابقة التقليدية في التاريخ الإسلامي.

---

(١) ابن خياط ، تاريخ بن خياط ، ج١، تحقيق سهيل زكار ، دمشق ، ١٩٦٧ ، ص ١٧٩.

وقد واجهتني في هذه الدراسة بعض المشكلات ؛ لعل من أبرزها تكرار الأحداث في أغلب المصادر التاريخية وكأنها كتبت من شخص واحد أو من مصدر واحد ، كذلك قلة الدراسات التي تقوم على أساس النقد والتحليل للمصادر التي تتحدث عن فتح السند .

ولا يسعني في هذا المقام الا أن أتوجه بالشكر لله – عز وجل – أولاَ ، ثم لجامعة الملك فيصل وكلية الآداب تحديداً ، على إتاحة الفرصة لي لتنوير نفسي وخدمة مجتمعي وبلادي بشكل أفضل ، والشكر موصول لأساتذتي أعضاء هيئة التدريس في قسم الدراسات الاجتماعية شعبة التاريخ ، على جهودهم ونصائحهم وتوجيهاتهم الكريمة ، سائلاَ الله لهم التوفيق والسداد .

وشكري الخاص لأستاذي الفاضل (الدكتور محمد نصر عبد الرحمن) ، والذي كان له الفضل الكبير في إنجازي لهذا العمل ، فلم يبخل علي بإرشاداته وتوجيهاته الفعاله ، فله مني خالص الشكر وجزاه الله عني خير الجزاء.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفصل الاول

جغرافية بلاد السند ومحاولات فتحها قبيل العصر الأموى

أولاً- جغرافية بلاد السند

ثانياً- أحوال السند قبل الفتح الإسلامى

ثالثاً- محاولات فتح السند خلال عصر الخلفاء الراشدين:

أ- في عهد عمر بن الخطاب

ب- في عهد عثمان بن عفان

ج- في عهد على بن أبى طالب

أولاً: الإطار الجغرافي للسند :-

تغطي هذه الدراسة من الناحية الجغرافية ، ما أطلق عليه الجغرافيون المسلمون الأوائل مسمى السِند (والمقصود به منطقتى السند والپنچاب[١] اللتان تقعان حالياً في باكستان) ، وأجزاء من الهند. فالسند والپنچاب هما المجال الجغرافي الذى استطاع المسلمون فتحه ، وتحويله لولاية إسلامية خلال العصر الأموي، والهند هى المجال الحيوي الذي جاور هذه الولاية ، وكان له أيضاً نصيب من حملات المسلمين التي استهدفت فتح أجزاء منه.

وتقع السِند في الركن الشمالى الغربي من الهند ، وطبقاً للتقسيم الجغرافي للعالم الذى وضعه الجغرافيون المسلمون الأوائل[٢]، فإنها كانت تقع ضمن نطاق الإقليم الثانى[٣]. وكان يحدها من الشرق والجنوب الهند وبحر العرب[٤]، ومن الغرب

---

(١) هى كلمة فارسية مكونة من مقطعين پنچ: بمعنى خمسة ، وآب: بمعنى مياه ، والمعنى العام: الأنهار الخمسة ، ويقصد بها أنهار السند الصغيرة التي كانت تصب في نهر السند الكبير. انظر: عبد الحى الحسنى الندوى ، الهند في العهد الإسلامي ، الدكن ١٩٧٢ ، ص٦٣.

(٢) قسم الجغرافيون المسلمون العالم في هذا الوقت إلى سبعة أقاليم ، أنظر على سبيل المثال: الزُهرى ، كتاب الجغْرافية ، تحقيق: محمد حاج صادق ، القاهرة (ب.ت) ، ص٥.

(٣) انظر: الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، القاهرة ١٩٩٤ ، ص١٧٦.

(٤) هو جزء من المحيط الهندي يقع بين سواحل شبه الجزيرة العربية وشبه الجزيرة الهندية.

مكران[١]، ومن الشمال كشمير[٢] وكابل[٣]. هذا بالنسبة لموقعها الجغرافي ، أما عن موقعها الفلكي خلال تلك الفترة ؛ فكان ينحصر بين خطي طول (٦٠-٧٥) شرقاً ، ودائرتي عرض (٣٠-٣٥) شمالاً[٤].

وتتميز الطبيعة الجغرافية للسند بالتنوع ، فهى تشمل السهول والوديان ، بجانب المناطق الصحراوية التي تغطى مناطق واسعة منها[٥]. ومن أهم المظاهر الجغرافية بالسند نهر (السند)[٦] ، الذى ينبع من جبالها الشمالية ، ثم يمتد عبر ربوعها ليصب في بحر العرب ، وقد لعب هذا النهر دوراً بارزاً في تشكيل الملامح

---

(١) مُكران: كانت تقع في الشمال الغربى للسند ، وتقع الآن جنوب شرق إيران وغرب باكستان.
انظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، بيروت (ب.ت) ، ص١٧٩.

(٢) كشمير: وكانت تسمى قشمير وهى ناحية متاخمة للسند ، وهى ولاية كشمير الحالية. انظر: القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت (ب.ت) ، ص١٠٤.

(٣) كابل: كانت ولاية كبيرة بين الهند وغزنة ، وتقع الآن في أفغانستان ، انظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق ، ج٤ ، ص٤٢٦.

(٤) حسين مؤنس ، أطلس تاريخ الإسلام ، القاهرة ١٩٨٧ ، ص١١٨.

(5) Spate, O., India and Pakistan, a general and regional geography, (London, 1954), p.594.

(٦) ويسمى أيضاً نهر مهران أو الاندوس ، وإليه نسبت السند ، ولمزيد من التفاصيل عنه انظر: القزويني، آثار البلاد ، ص١٢٥ ؛ لسترانج ، بلدان الخلافة الإسلامية ، ت. بشير فرنسيس ، تحقيق: كوركيس عواد ، بغداد ١٩٥٤ ، ص٣٦٩.

الاقتصادية والديموغرافية للسند ، حيث انتشرت حول هذا النهر وروافده معظم المدن السندية. ورغم أن السند تتمتع في الجنوب الغربى منها بمسطح بحرى كبير نسبياً ؛ وهو بحر العرب ، إلا أن قلة التعاريج على هذا الساحل أدت إلى قلة الموانئ فيه ، فلم يبرز للسند خلال تلك الفترة سوى ميناء كبير واحد هو ميناء ديبل **Daybul**[١].

أما عن مناخ السند فيغلب عليه طابع الحر الشديد ، وذلك لاقترابها من خط الاستواء ، وقد انعكس ذلك على طبيعة بعض سكانها ، فتميزت بشرتهم بالسمرة الداكنة[٢] حتى أطلق عليهم في بعض الأحيان لقب الزنوج[٣]، وربما كان ذلك أحد الأسباب الرئيسية في قلة الموانئ والمدن الساحلية فيها. وقد كان استقرار السكان في المناطق الساحلية ؛ راجع في المقام الأول لأسباب اقتصادية ، نتيجة استفادتهم من عمليات التبادل التجاري التي تتم عبر ميناء ديبل[٤].

---

(١) من أهم موانئ السند ، وهى مشتقة من الكلمة السنسكريتية **Delvalaia** وتعنى مقام الآلهة وتقع الآن بالقرب من مدينة كراتشى وتعرف أطلالها باسم بانبهور ولمزيد عنها انظر: الادريسى ، نزهة المشتاق ، ج١ ، ص ١٦٧ ؛ إبراهيم البلوشى، ميناء ديبل عند الفتح الإسلامى، مجلة التاريخ العربى، العدد الثالث ، ١٩٩٧، ص١١١ – ١٢٩ .

(٢) المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ١٩٠٩ ، ص٤٧٩.

(٣) فايزة اسماعيل أكبر ، الزط وموقعهم في التاريخ الإسلامى ، مجلة العصور ، المجلد الثامن ، ١٩٩٣ ، ص١٢٨.

(٤) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ليدن ١٩٣٩ ، ص٣٢٣.

وقد تنوعت مدن السند وفقاً لتنوع جغرافيتها ، فكان منها المدن السهلية والساحلية ، وكذلك الصحراوية ، ومن أهم هذه المدن: مدينة الرور Lurs: وهى مدينة عظيمة تقع على نهر السند ، واتخذتها الأسر التي حكمت السند عاصمة للمملكة[1]. ومدينة برهمناباد Bramanabad[2]: وكانت مدينة عظيمة أقيمت على فرع من فروع نهر السند ، وكان يسكنها غالبية البراهمة بالسند ، وقد أقام العرب بجوارها بعد الفتح مدينة جديدة أطلقوا عليها اسم المنصورة[3].

وهناك أيضاً مدينة ملتان Multan[4]: التي كانت تعتبر مدينة مقدسة ؛ نظراً لوجود المعبد الرئيسى للإله بوذا بها ، فكانت قبلة لأغلب سكان السند الذين يدينون بالبوذية ، كما كانت تعد من أغنى مدن السند ؛ بسبب النذور والهدايا التي كان

---

(١) وتقع الآن جنوب شرق حيدر آباد ، ولمزيد عنها انظر: ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، ج٣، ص٢٥٣.

(٢) ويعنى أسمها مدينة البراهمة ، وتقع الآن شمال شرق حيدر آباد ولمزيد عنها انظر:

Haig, N., “ On sites of Bramanabad and Mansura in Sind “ , *Journal of Royal Asiatic Society*, xvi (1886),pp.281-29.

(٣) الاصطخرى ، المسالك والممالك ، ص ١٠٢.

(٤) وهذه الكلمة مشتقة من الكلمة السنسكريتية Maliathan والتي تعنى موضع قبيلة مالى ، تلك القبيلة القوية التي كانت تقطن المنطقة زمن الاسكندر المقدونى ، وتقع حالياً غرب باكستان. ولمزيد عنها انظر: القزوينى ، آثار البلاد ، ص ١٢١ – ١٢٣.

يقدمها هؤلاء الحجيج إلى معبدها المقدس. بجانب مدينة نيرون Niron[1] ، وهى مدينة حصينة تشتهر بقلعتها التي تحمل اسمها. بجانب بعض المدن الساحلية الصغيرة مثل: تانه Thana[2] وبروص Barous[3]. وبجانب ذلك كانت هناك بعض المدن الصحراوية خاصة في ناحية مكران مثل: قندبيل وقصدار[4].

وحيث أن قسماً كبيراً من السند يمتد جغرافياً إلى الداخل ، ومع قلة الخلجان العميقة ومصبات الأنهار التي تفتح بها المساحات الداخلية ، فإن معظم سكانها

---

(١) وتسمى أيضاً نيرون كوت ، وتقع الآن بالقرب من حيدر آباد ولمزيد عنها انظر ، الادريسى، نزهة المشتاق ، ج١ ، ص ١٦٨.

(٢) هى مدينة ساحلية كبيرة ، وهى الآن عاصمة إحدى محافظات ولاية مهاشترا الجديدة ، وتقع بالقرب من مدينة بومباى ، ولمزيد من التفاصيل عنها انظر: الادريسى ، المصدر السابق ، ج١ ، ص١٩١ ؛ سيد رضوان على ، تعريف مدن الهند وتحديدها الواردة في كتاب فتوح البلدان للبلاذرى ، مجلة العصور ، المجلد الثانى، الرياض ، ١٩٨٧ ، ص ١٣٩.

(٣) وتسمى أيضاً بروج ، وهى الآن إحدى مديريات إقليم كجرات ، ولمزيد من التفاصيل عنها انظر: ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، ج١ ، ص ٤٠٤.

(٤) هما كورتين عند حدود مكران الشمالية الشرقية مجاورتين للهند ، وتقعان حالياً بالقرب من مدينة كلات في الجنوب الشرقى لإيران. انظر: القزوينى ، آثار البلاد ، ص١٠٤ ؛ المقدسى، أحسن التقاسيم ، ص ٤٧٨ ؛ لسترانج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص٣٧٠.

وانظر الخريطة التفصيلية التي وضعها الباحث في ملاحق الدراسة.

ارتبطوا بالبر ، ولم تلعب البحرية دوراً هاماً في تاريخها. كما ساهمت الطبيعة الجغرافية في عزل السند نوعاً ما عن باقى مناطق الهند ، مما سيؤثر فيما بعد على تقدم الفتوحات الإسلامية فيها نحو الجنوب ، فقد مثلت سلسلة جبال ونديا **Vindia** حاجزاً بين السند والهند ، بجانب صحراء راجپوتانا التي تمتعت بأهمية استراتيجية وعسكرية منعت أى تقدم عسكرى من ناحيتها ، وكذلك صحراء كچه **Cutch** الممتدة في الجنوب الشرقى للسند[١]، وشكلت تلك التضاريس الجغرافية بوجه عام خط تحصين، منع تقدم أى محاولات لفتح الهند عبر السند ، خلال تلك الفترة المبكرة على الأقل.

وبوجه عام لعبت جغرافية السند دوراً هاماً في تاريخها من ناحية ، وفي علاقة المسلمين بها أثناء فتحها والفترة التي تلت الفتح من ناحية أخرى ، فالطبيعة الجغرافية الوعرة لتضاريس السند – خاصة في الجنوب – أبقت على التواجد الإسلامى فيها دون التغلغل في باقى أجزاء الهند ، كما أدت العزلة الداخلية لأجزاء الهند ؛ إلى عزلة سياسية في المقابل ، فلم توجد قوة سياسية موحدة قادرة على التصدى للفتح الإسلامى ، أو تحاول طرد المسلمين من السند بعد فتحها.

---

(١) سميث ، الأسس الجغرافية والاجتماعية للهند ، مجلة ثقافة الهند ، المجلد السابع ، مارس – يونيو ١٩٥٦ ، ص١٢٢-١٢٤.

ثانياً: أحوال السند قبل الفتح الإسلامى :-

كانت السند تخضع لحكم أسرة سهاسى راي (Sehasi Rai) ، التي فرضت سيطرتها على أنحاء هذه المملكة حتى مقدم الحملات الإسلامية عليها ، ومن أشهر ملوكها ملك يدعى سيهرس (Sihars) ، استطاع أن يحفظ استقلال المملكة ضد أطماع الإمبراطورية الفارسية ، ونجح في مد نفوذه من كشمير شرقاً حتى مكران غرباً ، ومن جبال البلوش شمالاً حتى بحر العرب جنوباً ، وقد أشتهر بالعدل والسخاء والكرم ، وقد اتخذ هذا الملك من اللامركزية أسلوباً لحكمه ، فقسم مملكته لأربع أقسام، وجعل على كل قسم منها ملكاً كنائب له في إدارة شئونها ، بعد أن أمده بما يحتاجه من أسلحة وعتاد للحفاظ على استقرار المملكة[1].

نجح هذا النظام في بسط سيطرة سيهرس على مملكته ، فنعم بالهدوء لفترة من الزمن قبل أن تتجدد أطماع الإمبراطورية الفارسية في أملاكه ، حيث أرسل الإمبراطور الفارسي جيشاً كبيراً هاجم الأطراف الشمالية الغربية للسند ، فسارع سيهرس على الفور بالتحرك بنفسه على رأس جيش كبير لمواجهة الجيش الفارسي ، وقد أبدى مقاومة كبيرة في مواجهة الجيش الفارسي ، لكنه سرعان ما لقى مصرعه أثناء هذه المعركة وانهزم جيشه. وبرغم هذه الهزيمة إلا أن الجيش الفارسي سرعان

---

(١) الكوفي ، فتحنامه سند ، ت. بلوش ، دمشق ١٩٩١ ، ص ٣٧-٣٩.

ما ترك السند وعاود أدراجه ، وسمح هذا لابن سيهرس بأن يرتقى عرش المملكة ، فخلف أبيه في حكمها باسم الملك سهاسى الثاني (Sehasi II). وقد حافظ الملك الجديد على النظام اللامركزي الذى سار عليه سلفه ، ونجح في بسط سيطرته على أنحاء المملكة من جديد[1].

ثم التحق بخدمة هذا الملك أحد رجال مملكته ويدعى چچ (Chach) ، وجد في عمله حتى أصبح حاجب الملك ، ثم تطورت الأمور وأغرمت زوجة الملك وتدعى رانى سونهنديو(Sonhandew) به ، ورغم تمنع چچ في البداية احتراماً لمولاه إلا أنه سرعان ما رضخ للملكة الشابة ، ونجحت في مساعدته في التحكم في شئون المملكة[2].

وبعد وفاة سهاسى اعتلى چچ العرش وتزوج الملكة الأرملة ، بعد أن ساعدته في التغلب على معارضيه عن طريق الحيلة ، فقد كانت تخشى على العرش لأنها لم تنجب وريثا له من زوجها الملك ، لذلك أخفت خبر وفاة سهاسى عن الرعية ، وحبست الأطباء في قصرها حتى لا ينشروا خبر وفاة الملك ، ثم قبضت على أقربائه الأثرياء ، وألقت بهم في السجن ، ثم دعت أقاربه من الفقراء وأغرت كل واحد منهم بقتل أحد هؤلاء الأثرياء ، والحصول على ثروته فاستجابوا لها ، وبذلك تخلصت من

---

(1) Lari, Z., A history of Sindh, (Oxford, 1994), p.19.

(٢) الكوفي ، فتحنامه ، ص٤٣-٤٤.

أقرباء زوجها من ذوي النفوذ الذين قد ينافسون چچ على عرش المملكة. ثم اتجهت بعد ذلك لكبار رجال الدولة واحتالت عليهم ، حيث أخبرتهم أن زوجها الملك قد أوصى بتولى چچ للحكم ؛ نظراً لضعف صحته وعدم قدرته على تولى أعباء الحكم ، وحصلت بالفعل على مبايعتهم له ، وقامت بتتويجه على عرش المملكة[١].

وبعد مراسم التتويج تزوج چچ من الملكة الأرملة واستتبت له الأمور ، لكن الملك الجديد كان مكروهاً من الشعب ؛ خاصة أنه كان برهمي (هندوسي) في الوقت الذى كان فيه معظم سكان السند من البوذيين ، لذلك حكم مملكته بقبضة حديدية ، وفرض حكمه على المملكة حتى في ظل هذه المعارضة. وظل يحكم قرابة ست وأربعين سنة (١-٤٦هـ) ، وشهد عهده بداية الحملات الإسلامية على السند[٢].

أما عن أحوال المجتمع في السند قبل الفتح الإسلامي لها ، فمن المعروف أن سكان السند الأصليين جاءوا إليها من خلال هجرات تورانية من أجناس حامية ، استوطنت هذه المنطقة من آلاف السنين ، ومن أشهر عناصرها عنصرى الميد[٣]

---

(1) Lari, Z., A history of Sindh, p.20.

(2) Mahajan, D., Muslim Rule in India, (New Delhi, 1970), p.25.

(٣) هو لفظ عربى يعنى دوار البحر الشديد ، وأطلقه العرب على هؤلاء القوم لأنهم يمتهنون القرصنة في البحار. انظر: المباركبورى ، العرب والهند في عهد الرسالة ، ت. عبد العزيز عبد الجليل ، القاهرة ١٩٧٣ ، ص٥٨-٥٩.

والزط[١]، وكان الميد يعملون في البحر على السفن الصغيرة ، بينما كان الزط يشتغلون بالرعي[٢].

ثم توافدت على السند عام ١٥٠٠ ق.م بعض هجرات شمالية من العناصر الآرية البيضاء من موطنها الأصلى في شرق أوربا ، ونجحت في الاستقرار في السند، وسيطرت بشكل كبير على أمور الحكم في هذه المنطقة ، بعد ان أخضعوا باقى العناصر لسلطتهم[٣].

وقد عانى المجتمع في السند من وجود نظام طبقى بالغ الصرامة ، كان يتم تطبيقه وفق الشرائع الدينية الهندوسية ، وقد حرص هذا النظام على إعطاء الأفضلية للجنس الآرى الأبيض على حساب سكان السند الأصليين ، وذلك من خلال نظام هرمي قسم المجتمع إلى طبقات متفاوتة ، وكان البراهمة[٤]، وهم طبقة من الكهنة

---

(١) الزط بضم الزاي وتشديد الطاء هو تعريب للكلمة الفارسية جت Jat أو Jets وهم الزنوج الهنود ، انظر: فايزة اسماعيل أكبر ، الزط وموقعهم في التاريخ الإسلامى ، ص١٢٨.

(٢) فايزة اسماعيل ، المرجع نفسه ، ص١٣٠.

(٣) الساداتى ، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم ، القاهرة ، ١٩٥٧، ص٨.

(٤) كانت كلمة براهما أو برهمن تطلق في البداية على العبادة أو الصلاة في المعتقد الهندوسى ، ثم أصبحت تطلق بعد ذلك على الكهنة الهندوس أنفسهم. انظر: محمد اسماعيل الندوى ، الهند القديمة حضاراتها ودياناتها ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص٨٩.

ورجال الدين الهندوسي الذين يقومون على أداء طقوسه ، على رأس الهرم الاجتماعى. ويليهم طبقة الجند أو الأكشترية (المقاتلة من النبلاء) ، ويزعمون أنهم خلقوا من مناكب الإله (براهما) وهم الحماة والغزاة ، ومرتبتهم دون البراهمة. ويليهم في الترتيب الطبقى طبقة الويشية (المزارعين والتجار)، وهم مخلوقون من ركبتي الإله ، والفارق بينهم وبين الطبقتين السابقتين كبير جداً ، ويقبع في ذيل هذا الهرم طبقة الشودرا (المنبوذين) ، وهم خلقوا من قدم الإله براهما ، وهم سفلة الناس الذين ليس لهم مهنة فلم يعترف لهم بعمل غير خدمة الآخرين[١].

وقد رسمت هذه الشرائع لكل طائفة من الطوائف حدود لا تتعداها ، فالبرهمى هو المعلم والكاهن والقاضى والوزير الأكبر ، الذى لا يقضى الملك في أى شأن بدون رأيه ، أما الأكشترى – وكان الملك من بين الأكشترية – فعليه أن يتعلم ويقدم القرابين ويتصدق ، ويحمل السلاح دفاعاً عن الوطن ، وأما الويشي فعليه أن يتاجر ويجمع المال ، وينفق على رجال الدين وأهل العلم ، وأما الشودري فعليه أن يخدم هذه الطوائف الثلاثة الشريفة. وبذلك أطلقت تلك الشرائع أيدى البراهمة من كل قيد

---

(١) البيرونى ، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة للعقل أو مرذولة ، تحقيق: ساخو ، فرانكفورت ١٩٩٣، ص٤٩ ؛ جوستاف لوبون ، حضارات الهند ، ت. عادل زعيتر ، القاهرة ، ١٩٤٨، ص ٢٩٥ .

وجعلت لهم زعامة الناس جميعاً ، فالبرهمي لا يدنس بذنب حتى لو قتل أهل الكون جميعاً ، فهم وما يملكون ملك يمينه[١].

ووفق هذه القوانين واللوائح فرض على كل طائفة أن تعيش في إطار جماعتها وتكون مجتمعاً منفصلاً فيما بينها ، بحيث يتم التزاوج والتناسل والحفلات في نفس الإطار الطبقي. وقد طبقت هذه القوانين حرفياً بحيث لم يكن في مقدور أحد أن يأكل أو يشرب لدى طائفة أخرى ، كذلك خصص لكل منها طقوس ومراسيم وتقاليد وأماكن عبادة خاصة بها[٢].

ووفق الشرائع السابقة كان البراهمة والأكشترية هما عماد المجتمع ، ومن الأكشترية كان ينصب الملك ، لكن كان للبراهمة امتيازات خاصة جعلت نفوذهم يفوق نفوذ الملوك أنفسهم ، حيث كان الملك لا يقطع أمراً دون مشورتهم ، ويحرص على تلبية مطالبهم كاملة[٣]. وأدت تلك الامتيازات إلى تبرم الطبقات الأخرى خاصة من الزط، الذين طبقت عليهم قوانين صارمة قضت ألا يتملكوا أى شئ فيما عدا الكلاب والحمير ، وأن يرتدوا ملابس الموتى ، وأن يستخدموا الأوعية المكسرة كآنية ، وأن يستخدموا الحلى من الحديد الذى علاه الصدأ . كما فرض عليهم أن يركبوا الخيول

---

(١) الساداتى ، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ، ص١٦.

(٢) محمد اسماعيل الندوى ، الهند القديمة ، ص١٠٢.

(٣) ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ، ، نشر دى غويه ، ليدن ، ١٨٨٩ ، ص ٣٣.

بـدون ركـاب وسـرج وهـم حفـاة الأقـدام عـراة الـرؤوس ، وأن تصـحبهم الكـلاب حـين يخرجون من ديارهم وغيرها من الأمور التعسفية[١].

أما عن العقائد والديانات التي سادت في المجتمع السندي ، فقد كانت الهند بوجه عام والسند بوجه خاص ؛ مسرحاً للعديد من العقائد المختلفة ، التي تأرجحت بين عبادة الأوثان ، والنيران ، وقوى الطبيعة ، إلى العقائد الفلسفية الروحية. وكان المعتقدان السائدان في السند عشية الفتح الإسلامي لها هما: البرهمية (الهندوسية) والبوذية[٢].

والبرهمية عقيدة وثنية تقوم من خلال ثلاث آلهة رئيسية ، (براهما) وهو الإله الخالق سيد الآلهة والمسيطر على العالم . والإله (وشنو) الحافظ إله الحب الذى يشفي المرضى. والإله (شيوا) المدمر الموكول بقبض أرواح الناس وخلاصها من أبدانها. وبجانب هذه الآلهة الرئيسية توجد آلاف الآلهة الأخرى[٣].

(١) الكوفي ، فتحنامه ، ص ٦٢ ؛

Brown, J., " The history of Islam in India ", *Muslim World,* 39 (1949) , p.13 .

(٢) البيرونى ، تحقيق ما للهند ، ص ٥٧ ؛ حسن أحمد محمود ، الإسلام والحضارة العربية في أسيا الوسطى بين الفتحين العربى والتركى ، القاهرة ، ١٩٦٨، ص ١٥- ١٦.

(٣) الساداتى ، تاريخ المسلمين ، ص٢٢.

ولـم تكـن البرهميـة تحظـى بشـعبية كبيـرة بـين سكان السـند نظـراً لطبيعتهـا العنصرية التي رأينها فيما يخص التقسيم الطبقى ، والفوارق بين الطبقات ، وقد فتح هذا المجال لانتشار عقيدة أخرى وهى البوذية التي صارت هى العقيدة الرئيسية في بلاد السند خلال هذه الفترة.

وتعتبر السند هى موطن البوذية التي ظهرت فيه وانتشرت منه إلى باقى أنحاء العالم ، وتنسب البوذية إلى گاوتما بودا **Goatamd Buda** ، وكما هو واضح من الاسم فإن اللفظ الأصلى لمؤسس هذه الديانة هو (بودا) بالدال وليس بالذال. وتتمحور هذه العقيدة حول ٣ أمور : أولها ، الإيمان ببودا كمعلم مستنير للعقيدة البوذية. ثانيها ، الإيمان بتعاليم بوذا التي تسمى (دارما) بمعنى الحقيقة. وثالثها ، المجتمع البوذي نفسه[١].

وقد سخر البوذية من البراهمة سخرية شديدة هزت كيانهم حين أعلنت بأن الطقوس وشعائر العبادة وما وراء الطبيعة واللاهوت مسائل تستحق النظر ، وأن القرابين والأدعية والتمائم إن هى إلا من صناعة الكهنوت. كما هاجمت نظام الطبقات ضمناً حين صرحت بأن الناس أشرافهم وأدنيائهم وأغنيائهم كلهم سواء[٢].

---

(١) أحمد شلبي ، أديان الهند الكبرى ، القاهرة ١٩٨١ ، ص١٤٢ وما بعدها.

(٢) الساداتى ، تاريخ المسلمين ، ص٢٠.

ولم يقتصر الشقاق على الناحية الطبقية فحسب بل تعداه للناحية العقائدية ، حيث شهدت السند تطاحناً مذهبياً بين البراهمة والبوذيين ، وكان لهذا الصراع بالغ الأثر في تفكك الجبهة السندية وضعفها[١]، وامتد هذا التدهور للنواحى الاقتصادية ، فمع عدم الاستقرار سادت الفوضى وهجرت الأراضى وأجدبت ، وصارت مناطق السند تعانى من فقر مدقع[٢].

صفوة القول ؛ إن الأوضاع في السند قبل الفتح الإسلامى كانت في صالح المسلمين ، فالأوضاع الاجتماعية والاقتصادية السيئة لطبقات المجتمع ، وكذلك النزاعات الدينية بين سكان السند أحدث شروخاً واضحة في المجتمع هناك وسيكون لها كما سنرى بالغ الأثر على مجريات الأحداث ووقائع الفتح الإسلامى لهذه المناطق.

---

(١) عن طبيعة الصراع بين هذين العنصرين انظر ، الكرديزى ، زين الأخبار ، ت. عفاف زيدان ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص ٤٩٤– ٤٩٦ ؛

Prassad , I., History of Medieval India, (Allahabad ,1952), pp.30-32 ; Brown , History of Islam , p13.

(2) Majumdar, C., An advanced history of India, (London, 1950), P.275.

ثالثاً: المحاولات الإسلامية لفتح السند خلال عصر الخلفاء الراشدين:-

ارتبط العرب ببلاد الهند بوجه عام والسند بوجه خاص بعلاقات قديمة ، فلم تكن السند بالنسبة لهم عالماً جديداً يتصلون به للمرة الأولى[١]، بل سبق هذا الاتصال علاقات قديمة متعددة في كثير من النواحى الاقتصادية والاجتماعية. فعلى الجانب الاقتصادي كانت هناك رحلات تجارية قائمة بين الجانبين للحصول على المنتجات الهندية الشهيرة ، كالتوابل والعطور والسيوف وغيرها من المنتجات الهندية[٢].

ونلاحظ أن العلاقات الاقتصادية للعرب بالهند كانت أقوى من علاقتها بالسند ، وربما كان ذلك راجعاً لقلة موانئ السند من جهة ، فلم يكن هناك طريق تجارى يربط السند بالعرب سوى ميناء ديبل[٣]، أو ربما لقلة خبرة أهل السند بالملاحة وعدم ركوبهم البحر بشكل واسع مثل باقى الهنود من جهة أخرى[٤]. يضاف لذلك أن وجود تجمعات

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن معلومات العرب عن السند قبل الفتح الإسلامى لها انظر:

Saddiqi, M., " India as known to the ancient Arabs ", *Indo – Asian Culture* , 5 (1957), pp.275 - 281.

(2) Nadvi, S., " The Early Relation between Arabia and India ", *Islamic Culture*, 11 (1937), pp.172.

(٣) ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ، ص٦٧.

(٤) المباركبورى ، من النارجيل إلى النخيل ، ص٥٧٤.

من القراصنة بالقرب من موانئ السند ربما يكون قد أثر بشكل كبير على الرحلات التجارية التي كانت تتوجه إليها[١].

وعلى الجانب الاجتماعي ، كانت هناك هجرات متبادلة بين الجانبين العربى والسندي نتيجة أسباب مختلفة ، حيث استقرت بعض الهجرات العربية على الشريط الساحلى الغربى لشبه القارة الهندية ، حيث أقام العرب هناك بعض المراكز العمرانية في السند وساحل مليبار[٢] وسيلان[٣] وغيرها[٤]، وعلى الجانب الآخر نزحت بعض القبائل

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٤٢٣.

(٢) حمل هذا الساحل قديماً اسم كيرلم Karalam ، وهى صورة محرفة لكلمة چيرلم Charalam أو جيرل بمعنى سلسلة الجبال ، وكلمة مليبار أطلقها المسلمون على هذا الساحل وهى مكونة من مقطعين ، مالى Mali بمعنى جبل ، وبار Bar بمعنى بلد انظر: محى الدين الألوائى ، مابلا ، مجلة ثقافة الهند ، سبتمبر ١٩٥٥ ، ص ٥٩.

(٣) وهى جزيرة سرنديب ، وتقع جنوب شبه القارة الهندية ، ولمزيد من التفاصيل عنها انظر: الادريسى ، نزهة المشتاق ، ص ٧٢ – ٧٤ ؛ البيرونى ، الجماهر في معرفة الجواهر ، حيدر آباد ، ١٣٥٥ هـ ، ص ٤٦ – ٤٧.

(٤) عن المراكز العمرانية المبكرة التي أقامها العرب في الهند انظر :

Nadvi, S., " Muslim colonies in India before the Muslim conquest ", *Islamic Culture* 8 (1934), pp.477-489, 600 - 620; 9 (1935), pp.144-166, 423 - 442.

السندية مثل الميد والزط والسيابجة[1] والأساورة[2] واستقرت في بعض المناطق العربية خاصة جنوب العراق والساحل الشرقى لشبه الجزيرة العربية[3].

وهكذا ، لم يكن غريباً أن يفكر العرب بعد قيام الدولة الإسلامية في محاولة ضم الهند إلى دولتهم ، بداية من السند مرورا بباقى أجزائها الجنوبية. لكن الأمر لم يكن سهلاً بطبيعة الحال ، فمحاولة فتح السند عبر الطريق البرى في عهد أول الخلفاء الراشدين أبو بكر الصديق كانت ضرباً من الخيال ، لأن تقدم المسلمين نحو السند عبر هذا الطريق كان يحتم عليهم اختراق التخوم الشمالية لها، وكان ذلك يعنى ضرورة فتح تلك التخوم أولاً ، ولما كان المسلمون مازالوا يقاتلون في الولايات الفارسية الشمالية ، لذا فإن أقرب نقطة إسلامية برية للسند كانت بعيدة للغاية. وبدا الطريق البحرى هنا أقرب الطرق لتحقيق هذا الهدف ، خاصة بعد امتداد النفوذ

---

(١) السيابجة هى معرب سياه بجه ، وسياه بمعنى الأسود ، وبجه بمعنى الأطفال ، والمعنى العام الأطفال السود انظر: المباركبورى ، رجال السند والهند ، ص ٢٧٢ .

(٢) الأساورة لفظ مكون من مقطعين من اللغة السنسكريتية : أشو: بمعنى حصان ، ار: بمعنى مرتفع ، والمعنى العام : الفارس ، انظر:

Plata, J., A dictionary of Urdu, classical Hindi and English, (Lahore, 1983) , pp.37.

(٣) عن الهجرات الهندية المبكرة للمناطق العربية انظر، المباركبورى ، من النارجيل إلى النخيل، مجلة ثقافة الهند ، ١٩٦٥ ، ص ٣٣ – ٦٦.

الإسلامى حتى السواحل العمانية ، وبالتالى كان الانطلاق البحرى منها هو أقرب الطرق للوصول إلى السند في تلك الفترة. ورغم ذلك رأت السلطة الإسلامية المركزية تأجيل تلك المحاولة لفترة لاحقة ، ذنظراً لصعوبة الطريق البرى ، كما أن البحرية الإسلامية الرسمية في هذه المنطقة كانت جنيناً لم يظهر للنور بعد[١].

وقبل الخوض في تفاصيل أولى المحاولات التي قام بها المسلمون لفتح السند ينبغى أن نحاول أن نرصد في البداية الدوافع الحقيقية التي جعلت المسلمين يخططون لفتح السند ومن بعدها الهند. ويمكن أن نوجز هذه الدوافع فيما يلى:

أولاً: الحماسة الدينية ورغبة المسلمين في الجهاد في سبيل الله ونشر الدعوة الإسلامية ، حيث كان الهدف الاسمى للمسلمين نشر الاسلام ودعوته في انحاء الأرض من خلال فتح المناطق المحيطة بهم حتى يسهل نشر الإسلام بها. وزاد من تلك الحماسة أن الهند اكتسبت مكانة خاصة خاصة عند المسلمين ، وذلك لوجود عدد من الأحاديث النبوية الشريفة التي وعدت المسلمين بفتح الهند ومجدت المشاركين في هذا الفتح ، وأهم الأحاديث ما رواه النسائى في سننه عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " عصابتان من أمتى أحرزهما الله من النار ،

---

(١) محمد نصر عبد الرحمن ، الوجود العربى في الهند في العصور الوسطى ، القاهرة ٢٠١٤ ، ص١٤.

عصابة تغزو الهند وعصابة تكون مع عيسى بن مريم " ، كما روى عن أبو هريرة رضى الله عنه أنه قال: " وعدنا رسول الله غزو الهند ، فإن أدركتها أنفق فيها نفسى ومالى ، وإن قتلت كنت أفضل الشهداء ، وإن رجعت فأنا أبو هريرة المحرر[١]. كذلك ما رواه الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو عمن حدثه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " يغزو قوم من أمتي الهند يفتح الله عليهم حتى يأتوا بملوك الهند مغلولين في السلاسل فيغفر الله لهم ذنوبهم فينصرفون إلى الشام فيجدون عيسى بن مريم عليه السلام بالشام "[٢].

ولاشك أن هذه الاحاديث النبوية الشريفة قد زادت من حماسة المسلمين لعملية الفتح ، حيث وعدت المشاركين فيها بالجنة ، كما اعتبرتهم مساوين للمسلمين الأطهار اللذين سيكونون برفقة عيسى بن مريم في قتال المسيح الدجال آخر الزمان،

---

(١) انظر: النسائى ، كتاب السنن الكبرى ، تحقيق عبد الغفار سليمان ، سيد حسن ، ج٣، بيروت ، ١٩٩١، ص٢٨ ؛ أحمد بن حنبل ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ج٢ ، القاهرة (ب.ت)، ص ٢٢٨ ؛ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق طاهر الحمزاوى ، محمود الطناحى ، القاهرة ، ١٩٦٣، ص ١١٢ ؛ الهيثمى ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، ج٥ ، القاهرة ١٤٠٧ هـ ، ص ٢٨٢.

(٢) انظر: النعيم بن حماد ، كتاب الفتن ، تحقيق : سهيل زكار ، بيروت ١٩٩٣ ، ص٢٥٣. وان كان هذا الحديث يصنف كحديث ضعيف.

وجعلت بذلك فتح الهند ضمن آمال المسلمين وطموحاتهم المستقبلية ، بل جعلت الفتح كما ذكر بعض الباحثين واجب دينى مقدس[1].

ثانياً: الدوافع الاقتصادية ، ولا يُقصد به هنا ما رآه بعض الباحثين[2] من أنه كان المحرك الأساسى للمسلمين ، وأن اندفاعهم نحو الهند كان ورائه أخبار ثرواتها من الذهب والجواهر، وأن حملاتهم كانت غارات للسلب والنهب ولم يكن هدفها الفتح . وهو أمر مبالغ فيه بالطبع ، ويعتبر جزء من الصورة المشوهة التي يروجها بعض المستشرقين عن طبيعة الفتوحات الإسلامية. والمقصود بالدافع الاقتصادى هنا هو محاولة حماية اقتصاد الدولة الإسلامية وتجارتها من هجمات القراصنة الهنود. حيث كانت بعض موانئ ساحل الهند الغربى تعج بسفن القراصنة الهنود الذين دأبوا على الإغارة على السفن والموانئ العربية.

ولكى نفهم هذا الوضع يجب أن نرجع بالزمان عدة قرون ، حين كان العرب – خاصة عرب الجنوب في عمان واليمن – يسيطرون على مقاليد التجارة في منطقة

---

(1) Friedmann, Y., " A contribution to the early history of Islam in India ", in Myriam Rosen – Ayalon (ed.), Studies in memory of Gaston Wiet, (Jerusalem, 1977), p.319; Titus, M., Islam in India and Pakistan, (Calcutta, 1959), p.8.

(2) Prassad, I., History of medieval India, p.53 ; Lanepoole, S., Medieval India under Mohammedan rule,(London , 1971) , p.20 ; Titus, Islam in India , p.37.

الخليج العربى والمحيط الهندى ، ثم انتقلت تلك السيطرة للفرس مع دخولهم المنطقة كقوة عظمى ، ثم دخلت الإمبراطورية البيزنطية في الصورة واحتدم الصراع بين الإمبراطوريتين حول الطرق التجارية البحرية المؤدية للهند والصين ، كما ظهرت مملكة أكسوم Auxum الحبشية كمنافس ثالث في ظل غياب الدور العربى[١].

ثم سرعان ما عاد العرب للظهور على الساحة بعد قيام الدولة الإسلامية وتوجيههم الضربات المتلاحقة للفرس والبيزنطيين ، ولاحت في الأفق بوادر السيطرة الإسلامية على المنطقة خاصة بعد ضعف البحرية الفارسية ، وكان كل ذلك إيذاناً بعودة السيطرة العربية ، لكن هؤلاء القراصنة الهنود باتوا يهددون تلك السيطرة بهجماتهم المستمرة على السفن الإسلامية[٢]، لذا كان من الضرورى توجيه بعض الضربات لهم .

---

(١) للوقوف على طبيعة هذا الصراع ودوافعه انظر، جورج حورانى، العرب والملاحة في المحيط الهندى ت. السيد يعقوب بكر، القاهرة ١٩٦٠، ص ٩٧ –١٠٥ ؛ هايد ، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى ، ج١، ت. أحمد محمد رضا ، القاهرة ، ١٩٨٥، ص ٢٢–٢٤ ؛ رأفت عبد الحميد ، الصراع الدولى حول شبه الجزيرة العربية في القرن السادس الميلادى ، الإمبراطورية البيزنطية ، ج١، القاهرة ، ٢٠٠٠، ص ١٩٥– ٢٤٩ .

(٢) محمد نصر عبد الرحمن ، الوجود العربى في الهند ، ص ١٦.

ثالثاً: مطاردة الهنود المرتدين ، حيث يضيف بعض الباحثين هذا الدافع ضمن دوافع المسلمين لفتح السند[١]. فكما نعلم أن بعض العناصر من سكان السند كالزط والسيابجة كانوا يستوطنون بعض المناطق في شبه الجزيرة العربية مثل القطيف وهجر ، وحينما حدثت فتنة الردة في البحرين سنة ١١هـ انضم بعضهم لها ، بل وشاركوا في القتال ضد الجيوش التي أرسلها الخليفة أبو بكر لقتال المرتدين[٢]، وفي ذلك يقول الطبري : " لما مات النبي ﷺ خرج الحطم بن ضبيعة أخو بني عبدالقيس بن ثعلبة فيمن أتبعه من بكر بن وائل على الردة ، ومن تأشب إليه من غير المرتدين، ممن لم يزل كافراً حتى نزل القطيف وهجر ، واستغوى الخط ومن فيها من الزط والسيابجة[٣]، وحين لحقت الهزيمة بهذه الجيوش ، فر هؤلاء الهنود وعاد بعضهم لموطنه الأصلى في السند.

---

(١) التوم الطالب محمد ، فتح إقليم السند وانتشار الثقافة العربية الإسلامية ، مجلة المؤرخ المصرى ، ١٩٨٩، ص ٧٩ ؛ عبد الله محمد جمال الدين ، التاريخ والحضارة الإسلامية في الباكستان ، القاهرة ، ١٩٩٠ ، ص ١٨.

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص١٢٠.

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ١ ، ص١٩٥٨ ، ١٩٦٠ ، ١٩٦١ : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ، بيروت ١٩٨٦ ، ص٢٤٩.

وهذا الرأى تبدوا فيه بعض المبالغة ، فالحملات الأولية التي انطلقت لفتح السند خلال عصر الخلفاء الراشدين كما سنرى اكتفت بالهجوم على بعض المدن الساحلية ولم تحاول التغلغل داخل البلاد ، وهو أمر بديهى فلم يكن للمسلمين أن يشنوا حملات انتقامية تحتاج الكثير من الرجال والعتاد خلال تلك الفترة الحرجة من قتالهم على الجبهة الفارسية.

رابعاً: الانتقام من حاكم السند ، حيث يرى بعض الباحثين[1] أن أحد أهداف المسلمين في فتحهم للسند خلال تلك الفترة المبكرة هو الانتقام من حاكم السند لمساعدته للفرس في قتالهم للمسلمين ، وكذلك الانتقام من اهل السند لان بعضهم كان ينخرط ضمن صفوف الجيش الفارسى. حيث قام الحاكم الفارسي هرمز بعدة حملات بحرية إلى سواحل بلاد السند ، وكانت نتيجة لهذه الحملات أن وقع في أسره أعداد كبيرة من أهالي السند فجلبهم إلى فارس ، وكان معظمهم من قوم الزط لأن معظم الجيوش السندية كانت تتألف منهم ، وقد ضمهم هرمز إلى الجيوش الساسانية ليحاربوا العرب بجانب الفرس[2].

---

(١) التوم الطالب محمد ، فتح إقليم السند ، ص ٨٠ ؛ عبد الله محمد جمال الدين ، التاريخ والحضارة الإسلامية ، ص ١٨.

(٢) فايزة اسماعيل ، الزط ، ص١٣١.

وهذا الرأى أيضاً تبدو فيه بعض المبالغة ، فسوف نرى أن الحملات الأولية لم تحاول التوغل داخل السند أو الدخول في معارك كبيرة مع الجيش السندى انتقاماً من ملك السند. كما أن بعض أهل السند الذين كانوا منخرطين في الجيش الفارسى تبدو جنديتهم أقرب لنوع من العبودية منه للمقاتلين المرتزقة نتيجة ظروفهم الاقتصادية القاسية وبالتالى لم يكن لهم حق رفض القتال ضد الجيوش الإسلامية[١].

(١) المباركبورى ، من النخيل إلى النارجيل ، ص٤٣.

(أ) المحاولات الإسلامية لفتح السند خلال عهد عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٣م):

رغم توافر الدوافع أمام المسلمين للتفكير في غزو السند ، إلا أن السلطة الحاكمة لم تفكر حتى هذا الوقت في إرسال حملات لفتحها ، نظراً لأن الجيوش الإسلامية لم تكن قد وصلت إلى أرض قريبة منها ، تسمح لها بغزوها عن طريق البر، كما كان الغزو عن طريق البحر خلال تلك الفترة أمراً بعيد المنال ؛ لعدم توافر أسطول بحرى إسلامى قادر على القيام بهذا الأمر. لكن ذلك لم يمنع وجود بعض المحاولات الفردية ، التي تمت بمبادرات شخصية ، مثل التي قام بها عثمان بن أبى العاص الثقفي[١] والى عمان والبحرين، حيث أرسل ثلاث حملات بحرية ، استهدفت بعض مدن الساحل الغربى للسند مثل تانه وبروص وديبل[٢]. وقد اختلف الباحثون حول تاريخ هذه الحملات ، فقد رأى الباحث الهندي نايجم **Nigam**[٣] أنها تمت في

(١) هو أبو عبد الله عثمان بن أبى العاص بشير الثقفي ، استعمله الرسول – صلى الله عليه وسلم – على الطائف ، ثم ولاه عمر بن الخطاب عمان والبحرين ، ولمزيد عنه انظر: ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٥ ، ص٥٠٨-٥٠٩.

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٤٢٠.

(3) Nigam, S., "Religious attitude of Muslim rules in India", *Islamic Culture,* 56 (1982), p.97.

بداية عام ١١هـ/٦٣٢م ، بينما ذهب بلوتش Baloch[1] إلى أن تاريخ هذه الحملة هو عام ١٥هـ/٦٣٦م ، في حين رأى اسحق Ishaq[2] أن التاريخ الصحيح لهذه الحملات هو عام ٢٣هـ/٦٤٣مـ. والمدقق في الاحداث ووفقاً لما ذكرته المصادر التاريخية يجد أن أقرب تاريخ لهذه الحملات هو عام ١٥هـ/٦٣٦م.

ويبدو التساؤل هنا حول الدافع الذى جعل عثمان بن العاص يخاطر بالقيام بهذه الحملات دون الرجوع للخليفة ؟ لاشك أن الدوافع التي سبق ذكرها كان لها دور في تفكير عثمان للقيام بهذه الحملات ، لكن يمكن أن نضيف لهذه الدوافع الطموح الشخصى لعثمان الذى أراد تحقيق بعض الانتصارات التي تنسب له ، ولما كانت سواحل السند هى الأقرب له ، فكان من الطبيعى أن يفكر في توجيه هذه الحملات نحوها. ولعل ما شجعه على ذلك تلك المناوشات الجريئة التي قام بها سلفه العلاء الحضرمى ، وما حققه من نجاح في المياه الفارسية[3]، مما جعل عثمان يتطلع لتحقيق

---

(1) Baloch, N.,"The probable date of the First Arab expeditions to India", *Islamic Culture,* 20 (1946), pp.250-266.

(2) Ishaq, M., "A peep into the First Arab expeditions on India under the companions of the Prophet", *Islamic Culture,* 19 (1945), pp.109-114.

(٣) للوقوف على معارك العلاء الحضرمى ضد البحرية الفارسية انظر ، محمد أرشيد العقيلى ، دور الخليج العربى في الفتوحات الإسلامية ، ندوة مكانة الخليج العربى في التاريخ الإسلامى، جامعة الإمارات ، ١٩٨٨ ، ص١٥٦ – ١٦٨.

نجاح مماثل في المياه الهندية متأثراً بما سمعه من حديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – أثناء صحبته له ، وما لمسه من خبرة أهل عمان والبحرين البحرية في المنطقة، وتنقلهم الدائم وهجراتهم المستمرة للمناطق الساحلية المقابلة لهم[١].

وقد قاد عثمان بنفسه الحملة الأولى التي اتجهت نحو جزيرة تانة ، وأسند قيادة الحملة الثانية التي اتجهت نحو مدينة بروص إلى أخيه الحكم بن العاص[٢]، بينما أسند إلى أخيه المغيرة[٣] قيادة الحملة الثالثة التي اتجهت نحو ميناء ديبل[٤]. ولم تعطنا المصادر التاريخية تفاصيل وافية عما دار في تلك الحملات أو نتائجها ، واكتفت بذكر أنها كانت في مجملها ناجحة ، وإن اختلفت في مصير قائد الحملة الأخيرة ، فعلى

(١) عن خبرة أهل عمان والبحرين وانتشارهم في الأقاليم المجاورة لهم انظر ، فاروق عمر، انتشار العرب في أقاليم الخليج العربى الشرقية في العصور الإسلامية الأولى ، ندوة مكانة الخليج ، ص٦٢ – ٧٠.

(٢) هو أبو عبد الملك بن إلى العاص بشير الثقفي ، شارك في فتوح فارس ، ولمزيد عنه انظر: الدينورى ، الأخبار الطوال ، تحقيق عبد المنعم عامر، مراجعة جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص١١٣.

(٣) هو المغيرة بن أبى العاص بن بشير الثقفي ، ولمزيد عنه انظر: ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج١ ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص٢٦٦.

(٤) الكوفي ، فتحنامه سند ، ص ٨٣ .

حين ذكر البلاذرى[1] أنه انتصر وعاد سالماً ، في حين يذكر الكوفي[2] أنه قد قتل أثناء هذه الحملة.

ولم يكن من المتوقع أن تحقق هذه الحملات نجاحاً كبيراً أو تفتح أجزاء من السند ، لأن جيوش عثمان بن العاص لم تكن كافية لتحقيق ذلك ، كما أنه لم يتم التخطيط جيداً لهذه الحملات ، فهى أشبه بمغامرة حربية منها إلى حملات حربية منظمة.

وحين وصلت أخبار هذه الحملات إلى الخليفة عمر استشاط غضباً من جرأة عثمان وإقدامه على ذلك الأمر دون الرجوع إليه ، وأرسل لعثمان يوبخه قائلاً : " يا أخا ثقيف لقد حملت دود على عود، وإنى أحلف بالله لو أصيبوا لأخذت من قومك مثلهم "[3].

وأصل هذه العبارة (دود على عود) كانت رداً من عمرو بن العاص على الخليفة عمر بن الخطاب حين سأله رأيه في ركوب البحر ، حيث قال له: إني رأيت خلقاً كبيراً يركبه خلق صغير ، ليس فيه إلا السماء والماء ، إن ركد فرّق القلوب ،

---

(١) فتوح البلدان ، ص ٤٢٠.

(٢) فتحنامه ، ص ٨٣ .

(٣) البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٤٢٠.

وإن تحرك أراع العقول ، يزيد فيه اليقين قلة ، والشك كثرة ، هم فيه دود على عود ، إن مال غرق ، وإن نجا فرق"[١].

وقد فسر البعض[٢] هذا الرد على أنه فشل لتلك الحملات ، رغم ما يفهم من الرد من أنه لم تكن هناك خسائر بشرية أو مادية فادحة. كما فسر البعض رد عمر بن الخطاب بأنه جزء من رفض عمر للحملات البحرية ، وأنه يخشى ركوب البحر تأسياً بالرسول صلى الله عليه وسلم[٣]. وهو رأى جانبه الصواب ، فالثابت أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يشجع على غزوات البحر ، حيث روى عنه أنه قال: " غزوة في البحر مثل عشر غزوات في البر"[٤]. كما أن عمر نفسه أرسل بعد ذلك عام

---

(١) انظر : ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٦ ، ص٣٢٣. ولمزيد عن أصل هذه العبارة في المصادر التاريخية انظر :

Friedmann , Y., " Minor problems in Al-Balduris account of the conquest of Sind ", *Revisita degli studi orientali*, 45 (1970), pp.253-260.

(٢) عن هذا الرأى انظر:

Mahajan, D،. Muslim rule in India, p.17.

(٣) عن هذا الرأى انظر : سعد محمد الغامدى ، الفتح الاسلامى لبلاد وادى السند ، حوليات كلية الآداب – جامعة الكويت ، ص٣٤.

(٤) انظر: ابن ماجة ، سنن ابن ماجة ، كتاب الجهاد ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ١٢٠.

٢٠هـ/٦٤٠م حملة بحرية إلى بلاد الحبشة[1]. ولكن يمكن أن نفسر رد عمر في ضوء حرصه على ألا يقدم أحد ولاته على خطوة هامة مثل ذلك دون الرجوع إليه ، وكذلك حتى لا يفتح على المسلمين جبهة جديدة بعيدة عنهم في حين أن هناك العديد من الجبهات التي كان المسلمون يقاتلون فيها.

وبعد هذا الرد توقف النشاط الإسلامى نحو الهند لفترة مؤقتة انصرف المسلمون خلالها لاستكمال فتوحاتهم في الولايات الفارسية الجنوبية ، واستغرقت تلك الفتوحات ما يقرب من عقد كامل ، وبعد أن توغل المسلمون في إقليم كرمان تطلعوا لفتح مكران ورغم أن مكران كانت تخضع إدارياً للسلطة الفارسية ، فإنها كانت تعتبر أول حد طبيعى للسند من ناحية الشمال الغربى[2].

وخلال عام ٢٣هـ/٦٤٣م وصلت طلائع الجيش الإسلامى على مكران بقيادة الحكم بن عمرو الثعلبى[3]، وكانت تتبع السند خلال تلك الفترة ، ولما فشل حاكمها في التصدى للجيوش الإسلامية اضطر للاستنجاد براجا چچ حاكم السند ، واستجاب

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٣ ، ص١١٢.

(٢) محمد نصر ، الوجود العربى في الهند ، ص١٧.

(٣) هو الحكم بن عمرو بن مجدع بن حزيم بن الحارث بن ثعلبة ، ولمزيد عنه انظر: ابن حزم، جمهرة انساب العرب ، ج١ ، ص١٨٦.

الأخير وأمده بقوات كبيرة ، لكن ذلك لم يمنع انتصار المسلمين مما شجعهم على التوغل أكثر في شمال السند فتقدموا حتى وصلوا إلى ضفاف نهر السند[1].

وقد أرسل الحكم أخبار هذا الانتصار مع بعض الغنائم للخليفة عمر مع رسول له ، وحين سأله عمر عن طبيعة المناطق التي غزتها الجيوش الإسلامية ذكر الرسول له أنها أرض قاسية وسكانها شديدو المراس ، أصدر الخليفة عمر أوامره الصارمة بأن تكتفي الجيوش الإسلامية بذلك ولا تتوغل داخل السند[2]. وربما فعل عمر ذلك خوفاً على توغل الجيوش الإسلامية في تلك المناطق ، أو ربما كان يخطط لحملة أخرى أكثر قوة وعتاداً ، لكن في كل الأحوال لم يمهله القدر لمتابعة ذلك بعد أن توفي خلال هذا العام.

---

(١) الطبري ، تاريخ الملوك والرسل ، ج٤ ، ص١٨١-١٨٢.

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٤٤٤.

(ب) المحاولات الإسلامية لفتح السند خلال عهد الخليفة عثمان بن عفان (٢٣-٣٥هـ/٦٤٣-٦٥٥م):

استمر توقف حركة الفتح في شمال الهند في بداية حكم الخليفة عثمان بن عفان (٢٤هـ- ٣٥هـ/٦٤٤-٦٥٥م) ، بل إن سكان مكران سرعان ما انتفضوا على الحكم الإسلامى وخرجت مكران من حوزة المسلمين . ورغم ذلك ظل عثمان على موقفه المتردد في استكمال الفتح ، حيث آثر الخليفة في بداية حكمه ألا يخالف سياسة سلفه ، وظهر ذلك إبان فتوحات المغرب أيضاً ، حيث رفض استكمال ما أمر عمر بتوقفه ولم يعاود الفتح إلا بعد أن ألح عليه كبار الصحابة ، ويبدو أن عثمان مع منحه الضوء الأخضر لاستكمال الفتوحات في المغرب ، أعاد التفكير مرة أخرى في غزو الهند ولكن مع بعض الحذر، لذلك أرسل لواليه على العراق يطلب منه إرسال مبعوث خاص في مهمة استكشافية للهند[١].

وقام الوالى بإرسال أحد رجاله في هذه المهمة ، لكن يبدوا أن هذا الرجل سلك الطريق البرى عبر مكران ، وهناك صدم بجفاف تلك المناطق كما أعاقه السلوك الوحشى لسكان تلك المناطق ، وعندما عاد الى مركز الخلافة كان وصفه للهند وتحديداً الجزء الشمالى منها كالتالى " ماؤها وشل وثمرها دقل ، وعدوها بطل ،

---

(١) ابن خياط ، تاريخ بن خياط ، ج١، ص ١٧٩.

وخيرها قليل ، وشرها طويل ، والكثير فيها قليل ، والقليل فيها ضائع ، إن قل الجيش بها ضاعوا وإن كثروا جاعوا "[١].

ولاشك أن هذا التقرير أثار خوف الخليفة عثمان وألغى أية مخططات مستقبلية لغزو الهند، لكنه لم يكن إلغاءً نهائياً ، بل كانت فترة مؤقتة استأنف المسلمون بعدها الفتح ، وشجعهم على ذلك فتح إقليم سجستان[٢]،والذى كان موقعه استراتيجياً بالنسبة للسند ، وكان الطريق منها نحو الأخيرة أكثر سهولة من طريق مكران ، لذلك صارت سجستان قاعدة هامة للحملات الإسلامية عليها، وبالفعل انطلقت إلى هذه الحملات عام ٢٩هـ/٦٤٩م واستطاعت استعادة مكران والوصول حتى ضفاف نهر مهران[٣].

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٤٢١.

(٢) من أهم الأقاليم الفارسية ، ولمزيد من التفاصيل عن ملامح جغرافيته انظر: القزوينى ، آثار البلاد ، ص ٢٠١ – ٢٠٢.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص ، ١٦٤.

(جـ) المحاولات الإسلامية لفتح السند خلال عهد الخليفة على بن أبى طالب (٣٥-٤٠هـ/٦٥٥-٦٦٠م):

وعلى هذا النحو استطاع المسلمون وضع موطئ قدم لهم في الشمال الغربى للهند ، لكن اندلاع الخلافات بين المسلمين في أعقاب مقتل عثمان سرعان ما أوقف مشروع الفتح ، ثم عاود المسلمون نشاطهم في عهد على بن أبى طالب ، حيث انطلقت حملة جديدة من مركز الخلافة عام ٣٩هـ/٦٥٩م واستطاعت أن تعيد السيطرة الإسلامية على مكران ، لكن سرعان ما أثرت الأحداث في مركز الخلافة على أوضاع تلك الحملة بعد مقتل على وانتهى الأمر بهزيمتها ومقتل قائدها[١].

وهكذا في تقييمنا للحملات الإسلامية على الهند خلال عصر الخلفاء الراشدين نجد أن الوضع العام لتلك الحملات لم يكن يحمل طابعاً منظماً ، فكانت حملات استطلاعية في معظمها ، هاجمت السواحل الغربية والحدود الشمالية الغربية للهند ولم تتوغل في قلب شبه القارة ، واختلفت طبيعة هذه الحملات باختلاف العلل التاريخية داخلية كانت أم خارجية، إضافة لطبيعة البيئة الجغرافية .

وتأثرت هذه الحملات لحد بعيد بسياسة الخلفاء المركزية ، والأحداث التي كانت تعصف بمركز الخلافة، وكان استمرار هذه الحملات من عدمه مرتبطاً بما تراه

(١) الكوفي ، فتحنامه ، ص ٨٧.

السلطة المركزية وكان طابع هذه الحملات في عهد عمر غير رسمى ، ثم صارت رسمية في عهد عثمان ؛ ورغم أن هذه الحملات لم تحقق نجاحاً كبيراً نظرياً ، إلا أن الواقع أثبت أنها أتاحت للمسلمين خبرات واسعة بتلك المناطق ، وهو ما سيكون له كبير الأثر في اتساع نطاق الفتوحات خلال العصر الأموى ، وانتشار الإسلام في الهند بصورة واسعة بعد ذلك .

الفصل الثاني

فتح المسلمين للسند من خلال كتاب فتحنامه والمصادر الأخرى (دراسة مقارنة)

أولاً : الحملات الأموية لفتح السند قبل عهد الحجاج الثقفى

ثانياً: الحملات الأموية لفتح السند في عهد الحجاج الثقفى

*** حملة محمد بن القاسم:**

أ- أسباب الحملة

ب- التجهيز للحملة

ج- وقائع الحملة

د- نتائج الحملة

أولاً : الحملات الأموية لفتح السند قبل عهد الحجاج الثقفى:

قدر لفتوحات المسلمين فى السند خلال العصر الأموى أن تأخذ منحى جديد ، اتخذت فيه شكلاً أكثر انتظاماً ، وأصبح لها مردود واسع ، لكن هذا التحول لم يتم دفعة واحدة خلال هذا العصر ؛ بل استغرق فترة امتدت قرابة نصف قرن من الزمان ، حافظ الأمويون خلالها على التنظيم الثغرى[١]، الذى وضعوه على حدود دولتهم ، والذى يقضى باتخاذ الولايات الحدودية كثغور للهجوم على المناطق المجاورة ، ومحاولة فتحها. وفى بداية هذا العصر كانت الحملات تخرج من ثغرى سجستان ومكران، بتوجيه مباشر من مركز الخلافة ، أو بواسطة والى العراق الذى أنيط به الإشراف على أعمال الفتح فى المناطق الشرقية من الدولة ، وكانت هذه الحملات تهدف إلى اختبار قوة مملكة السند ، وتثبيت الحدود الإسلامية المتاخمة لها[٢]. وكانت الحملات فى بداية

---

(١) تأثر هذا التنظيم إلى حد ما بالنظام البيزنطى فى حماية الحدود ، وأساسه أن تنشأ سلسلة من الحصون على الحدود ، يركز فيها المقاتلة والجنود والمجاهدون والمرابطون ، وتحشد المئون والذخائر ، وتقوم الحصون الثغرية بسلسلة من الغارات الموسمية ، إما فى الشتاء أو الصيف ، وتهدف هذه الغارات إلى تثبيت خط الحدود والدفاع عنه انظر: حسن أحمد محمود ، الإسلام والحضارة العربية فى آسيا الوسطى بين الفتحين العربى والتركى ، القاهرة ، ١٩٦٨، ص ١٩.

(٢) محمد نصر ، الوجود الإسلامى فى الهند ، ص٢٠.

هذا العصر غير فعالة فى تحقيق تقدم إسلامى داخل مملكة السند ، لكن الأمر تغير فى منتصف هذا العصر وبدأ المسلمون يحققون انتصارات حاسمة فى السند ، تمكنوا بعدها من فتح كثير من أجزاء هذه المملكة.

وكانت فاتحة هذه الحملات فى عام ٤٤هـ/٦٦٤م من خلال حملتين ؛ الأولى كانت بقيادة القائد الشهير المهلب بن أبى صفرة[١]، وهى الحملة التى ذكرتها بعض المصادر مثل البلاذري[٢] والذهبى[٣] وخليفة بن خياط[٤] ، فى حين لم يرد ذكرها لدى الكوفى. وكانت هذه الحملة بتوجيه من والى العراق ، واستطاع المهلب أن يتوغل فى أقصى شمال السند خاصة فى قلب مملكة كابل ، وتمكن من الاستيلاء على بعض المناطق الواقعة بين كابل والسند مثل بنة والأهوار[٥] ، واكتفى المهلب بذلك وعاد إلى سجستان.

---

(١) هو أبو سعيد المهلب بن أبى صفرة بن سراق بن صبح ، وينتهى نسبه إلى الأزد ، وهو من عمان ، ولد عام الفتح فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، ومات بمرو عام ٨٣هـ/٧٠٢م، انظر: ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص٣٧٠.

(٢) فتوح البلدان ، ص٦٠٨.

(٣) العبر فى خبر من غبر ، ج١ ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، الكويت ١٩٦٠ ، ص٥٢.

(٤) تاريخه ، ج١، ص١٢٦.

(٥) تقع بنة فى غرب باكستان وتسمى الآن بنوكوهات ، والأهوار هى لاهور الحالية. ولمزيد عنهما انظر، ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، ج١ ، ص ٥٠١ .

أما الحملة الثانية فكانت بقيادة عبد الله بن سوار[1]، وقد ورد ذكرها عند البلاذرى ، وغيره من المؤرخين كاليعقوبى وخليفة بن خياط ، وكذلك ذكرها الكوفى ولكن مع بعض الاختلافات. فقد اتفقت المصادر الأولى على أنها كانت حملتان وليست حملة واحدة ، كانت الحملة الأولى عام ٤٤هـ/٦٦٤م ونجحت فى تحقيق انتصارات بسيطة شمال السند وحققت بعض الغنائم ومنها بعض الخيول النادرة. وتذكر هذه المصادر أن هذه الخيول أثارت اعجاب الخليفة معاوية بن أبى سفيان ، مما جعله يرسله فى حملة ثانية على تلك المنطقة عام ٤٧هـ/٦٦٧م ؛ لإحضار مزيد من هذه الخيول ، لكن سكان هذه المنطقة حاصروا عبد الله وجيشه ، وهزموه هذه المرة ، وقتل هو نفسه خلال ذلك[2].

أما رواية الكوفى؛ فقد تفردت عن الروايات السابقة فى غزارة تفاصيلها واختلافها عن هذه الروايات فى بعض الأمور ، فقد أخطأ حين دمج أحداث الحملتين فى حملة واحدة فلم يفصل بينهما ، لكنه بالمقابل أعطى كثير من التفاصيل عن تحركات عبد الله خاصة تفاصيل المعركة الأخيرة ، كما أنه أزاح بعض الغموض فى

---

(١) هو عبد الله بن سوار بن همام العبدى ، من بنى مرة بن همام. وللمزيد عنه انظر ، ابن سعد، الطبقات الكبرى ، ج٥ ، ص٤٦.

(٢) انظر: البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٦٠٨ -٦٠٩ ؛ الذهبي ، العبر ، ج١ ، ص٥٤ ؛ خليفة بن خياط ، تاريخه ، ص١٢٧.

العبارة التى ذكرها البلاذري عن عبد الله فى قوله : " وكان سخياً ، لم يوقد أحد ناراً غير ناره فى عسكره ، فرأى ذات ليلة ناراً ، فقال : ما هذه ، فقالوا : امرأة نفساء يعمل لها الخبيص (نوع من الحلوى) ، فأمر أن يطعم الناس الخبيص ثلاثاً". فقد فسر عبارة لم يوقد أحداً ناراً غير ناره فى عسكره ، حين ذكر أن معاوية زوده بكل ما يحتاج إليه فى حملته حتى لا يشعل أحد ناراً ليلاً[1] ، ربما حتى لا يكشف عن مكان معسكر المسلمين فى الليل. وبوجه عام كان معظم ما حققه المسلمون من فتوحات قبل عهد الحجاج ينحصر فى ولاية مكران وتوابعها ، دون أن يتقدموا بشكل فعلى لمملكة السند.

---

(١) الكوفي ، فتحنامه ، ص٨.

ثانياً: الحملات الأموية لفتح السند فى عهد الحجاج الثقفى

خلال عهد الحجاج الثقفى تطورت الحملات الإسلامية ، وبدأت فى التوغل داخل مملكة السند نفسها ، لكن ذلك لم يأت دفعة واحدة بل جاء بشكل تدريجى. وكانت فاتحة العلاقة بين الحجاج والسند سيئة ، إذ يذكر كل من البلاذري[1] وابن خياط[2]: أن الحجاج ما إن تولى شئون العراق ؛ حتى فوجئ باستيلاء إحدى الأسر العربية وتدعى أسرة العلافى[3] على ولاية مكران ، وقام زعيما هذه الأسرة محمد ومعاوية بقتل والي الحجاج عليها ، مستندين فى ذلك على دعم داهر حاكم السند لهما. ويقدم لنا الكوفي[4] تفاصيل وافية عن أسرة العلافي وجذور تواجدها بالسند ، حيث يذكر أن رجلاً عربياً يدعى محمد بن الحارث العلافي ؛ كان من رجال الحجاج فى السابق ، ثم تمرد عليه ، وفر مع بعض رجاله إلى داهر حاكم السند ، ورحب

---

(١) فتوح البلدان ، ص٦١١.

(٢) تاريخه ، ص ١٧٤.

(٣) يذكر كل من ابن خياط والكوفى أن جذور تلك الأسرة ترجع إلى بنى سامة بن لؤى ، وهى إحدى قبائل قريش ، بينما يذكر البلاذري أنهم من قبيلة قضاعة. والرأى الأول هو الأصح انظر: الزبير بن بكار القرشى الزبيرى ، جمهرة نسب قريش وأخبارها ، ج٢ ، تحقيق : عباس هانى الجراخ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠١٠ ، ص١٦٥.

(٤) فتحنامه ، ص٧٩-٨٠.

الأخير به بعد أن اطمئن إليه ، وجعله من رجاله ، وشارك العلافي بعدها فى بعض المعارك لصالح داهر.

وقد أصاب الغضب الحجاج ؛ ليس فقط لمقتل واليه وضياع ولاية مكران ، ولكن لأن ذلك تم يد على أيدى بعض المتمردين ضده ، فبادر على الفور بإرسال حملة إليها عام ٧٨هـ/٦٩٧م ، لكنها فشلت فأتبعها بحملة أخرى فى العام التالى ، وكانت هذه الحملة أوفر حظاً من سابقتها ، حيث انتصرت على العلافيين ، وقتل محمد وهرب معاوية ولجأ إلى داهر ، وعادت بذلك مكران للسيادة الأموية[1]. ونلاحظ أنه حتى هذه الوقت لم يتم صدام مباشر بين داهر والجيوش الإسلامية.

* حملة محمد بن القاسم:

أ- أسباب الحملة والتجهيز لها

عند الحديث عن الدوافع التى حملت الحجاج الثقفى على إرسال حملة كبيرة لفتح السند ، بدلاً من الحملات الصغيرة السابقة ، لدينا روايتان تتفقان فى بعض التفاصيل وتختلفان فى البعض الآخر. والرواية الأولى ذكرها البلاذرى، حيث يروي أن بعض التجار المسلمين كانوا يعيشون فى جزيرة الياقوت ويعملون بالتجارة بها ، وبعد وفاة هؤلاء التجار تركوا ورائهم ذرية من النساء ، وأراد حاكم الجزيرة أن يتقرب من

---

(١) الذهبى ، دول الإسلام ، ج١ ، ص٧٠ .

الحجاج بأن يرسل إليه هؤلاء النسوة حتى يعودوا لموطنهم الأول ، فقام بإرسالهن فى عدة سفن إلى البصرة ، وأثناء رحلة العودة تعرضت لهن بعض سفن القراصنة الميد بالقرب من ميناء ديبل وقاموا بأسرهن. وقد استغاثت إحدى هؤلاء النسوة بالحجاج ، وحينما وصل الخبر إليه ، قام بمراسلة داهر يطلب منه التدخل بنفوذه لإطلاق سراحهم ، لكن داهر رد معتذرا بأن هؤلاء مجموعة من اللصوص الأقوياء ، ولا يمكنه التدخل لإطلاق سراح هؤلاء الأسرى[1].

تلك كانت رواية البلاذرى ، والتى روى فيها بشكل مختصر الدافع الذى حرك الحجاج للتعجيل فى الدفع بحملة كبيرة على السند. وعلى الجانب الآخر لدينا رواية ثانية لتلك الحادثة ، ولكن بشكل مختلف فى بعض التفاصيل ، ومسهب فى البعض الآخر. تلك الرواية نجدها عند الكوفى ، ونقلها عنه الهروى فى طبقاته[2]، حيث ذكر أن ملك جزيرة اليواقيت ، أرسل للحجاج سفينة محملة بالتحف والهدايا والعبيد الأحباش ، كما أرسل للخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك بعض الهدايا الفاخرة أيضاً. وقد صاحبت هذه السفينة بعض النساء المسلمات لزيارة الكعبة والبلاد الإسلامية ، ونظراً لسوء الأحوال الجوية ؛ جنحت السفينة نحو ميناء ديبل حيث أسرها بعض

---

(١) فتوح البلدان ، ص ٦١٢– ٦١٣.

(٢) الهروى ، طبقات أكبرى ، ج٣ ، ت. أحمد عبد القادر الشاذلى ، القاهرة ١٩٩٥، ص ٣٢٣.

القراصنة ، وقاموا بالاستيلاء على ما فيها من هدايا والأموال بجانب النساء اللائى صرخن استغاثة بالحجاج. وقد نجح بعض ممن كانوا على متن السفينة فى الفرار وذهبوا للحجاج وقصوا على الحجاج ما حدث. وعلى الفور أرسل للحجاج رسولاً إلى داهر يطلب منه فك أسر النساء وإعادة هدايا الخليفة وقرن الرسالة بالتهديد والوعيد لكن داهر اعتذر بعدم قدرته على فعل ذلك لقوة هؤلاء اللصوص والقراصنة[١].

وكما يبدو من مقارنة الروايتين أن رواية البلاذري كانت مقتضبة على العكس من الكوفي الذى أسهب فى ذكر التفاصيل التى أوضحت كثيراً مما غمض علينا فى رواية البلاذري. وإن كان البلاذرى قد حدد زمن هذه الحادثة بعهد عبد الملك بن مروان على العكس من الكوفي الذى ربطها بعد الوليد بن عبد الملك وهو خطأ واضح. وهناك اختلاف فى بعض التفاصيل فيما يخص السبب الذى خرجت من أجله السفن من جزيرة الياقوت نحو البصرة ، وكذلك طريقة وصول خبر ما حدث إلى الحجاج. كما أن هناك اختلاف فى بعض المسميات ، فعلى حين ذكر البلاذري أن القراصنة الذين أسروا السفينة هم من عنصر الميد ، نجد الكوفى يذكر أنهم من عنصر التكاكرة[٢].

---

(١) الكوفي ، فتحنامه ، ص٩٦-٩٨.

(٢) التكاكرة جمع تكرى او تاكر ، وهم قوم من الهنود القح امتازوا بشجاعتهم حتى كانت مضرب المثل ، وفى لسان العرب: التكرى القائد من قواد السند والجمع تكاكرة ، الحقوا الهاء للعجمة. انظر: ابن منظور ، لسان العرب ، ج٢ ، ص٩٢ .

أما عن اسم الجزيرة فقد أثارت المسميات التى أطلقها عليها الكاتبان تساؤلات كثيرة حول طبيعة هذه الجزيرة ، فقد ذكرها البلاذرى باسم جزيرة الياقوت وأضاف انها سميت بذلك لجمال نسائها ، فى حين ذكرها الكوفى باسم جزيرة اليواقيت وملكها باسم ملك سرنديب[1]. ووصف البلاذرى للجزيرة يوحى بأنها ليست جزيرة سرنديب ، لأن سبب تسميتها الذى ذكره يتطابق مع ما ذكره البيرونى[2] عن جزيرة تسمى جزيرة الياقوت بسبب جمال نسائها وتقع بالقرب من اندونيسيا الحالية. بينما يؤكد الكوفى على أنها جزيرة سرنديب وهو الافتراض الأقرب للصحة فى ضوء ما ذكر عن محاولة حاكم سرنديب وسلوكه الودى تجاه الحجاج ، والذى يبدوا طبيعياً فى ضوء العلاقات التجارية لبلاده مع العراق ، حيث كان الحجاج يحكم البصرة والكوفة الواقعتان فى وادى دجلة والفرات ، تلك المنطقة التى كانت ترسو فيها السفن القادمة من سرنديب والبحار الشرقية وتبحر منها أيضاً فى طريقها للهند والصين. حيث كانت السفن تحمل البضائع من البصرة وموانئ عمان الشمالية إلى سيراف التى تبدأ منها رحلته ، وفيها تفرغ تلك السفن حمولتها فى سفن أكبر تتزود بالمؤن ثم تتجه للموانئ الجنوبية لعمان ، حيث تعاود التزود بالمؤن استعداداً للإبحار فى مياه المحيط الهندى. وبعد

---

(١) هى جزيرة تقع جنوب الهند وتسمى أيضاً سيلان ، وهى سيرلانكا الحالية وللمزيد من التفاصيل عنها انظر، الادريسى ، نزهة المشتاق ، ص ٧٢ – ٧٤.

(٢) الجماهر فى معرفة الجواهر ، حيدر آباد ، ١٣٥٥هـ ، ص ٤٦ – ٤٧ .

ذلك تبحر السفن مباشرة نحو الجنوب الغربى للهند ، حيث تصلها بعد شهر فى الأحوال العادية . وهناك تؤدى المكوس وتتزود بالمؤن ، ثم تواصل رحلتها إلى جزيرة سيلان ومنها إلى خليج البنغال ثم تتجه أخيراً نحو الصين[١].

أعقب الموقف المتخاذل لداهر ؛ غضب عارم من الحجاج ربما جعله يتعجل فى إرسال حملتين سريعتين لمهاجمة ميناء الديبل ، وفك أسرى النساء المسلمات ، وقد أشار كل من البلاذري[٢] واليعقوبي[٣] لهاتين الحملتين فى اقتضاب شديد ، اكتفيا فيه بذكر أسماء قادة هاتين الحملتين وفشلهما فى النهاية ، حيث ذكرا أن الحجاج أرسل حملة لمهاجمة الديبل لكنها فشلت وقتل قائدها ، فأعقبها بحملة أخرى لم تكن أفضل مصيراً من سابقتها. أما الكوفي فقد أسهب فى سرد تفاصيل هاتين الحملتين خاصة الحملة الثانية حيث ذكر أنها حققت الانتصار فى البداية على الجيش السندى مما جعل داهر حاكم السند يرسل جيشاً كبيراً بقيادة ابنه (جيسيه) الذى تمكن من هزيمة هذه الحملة أيضاً وقتل قائدها. كما ذكر أن سكان مدينة نيرون خشوا عواقب غضب

---

(١) سليمان التاجر ، أخبار الصين والهند ، نشر جان سوفاجيه ، باريس ١٩٤٨ ، ص ٨ – ٩.

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٦١٢.

(٣) اليعقوبى ، تاريخه ، ج٢ ، ص ٤٧.

الحجاج لمقتل قائديه ومحاولته الانتقام منهم فأرسلوا وفداً منهم دون علم داهر مع بعض الهدايا يطلبون الأمان من الحجاج فأجابهم إلى طلبهم[1].

وكما نلاحظ هنا فإن الكوفى ينفرد كالعادة بتفاصيل وفيرة عن غيره من المصادر الأخرى ، خاصة فيما يتعلق بدور ابن داهر فى صد حملات الإسلامية ، وكذلك الموقف الغريب لسكان بيرون تجاه الحجاج رغم هزيمة الجيوش الإسلامية. ولكننا نجد لدى البلاذري إشارة متأخرة لذلك الحدث ، حين يتحدث بعد ذلك عن فتح ابن القاسم لمدينة بيرون ، حيث يذكر ان أهلها سبق وأرسلوا للحجاج يطلبون الأمان قبل وصول ابن القاسم لهم[2]. وتبدو هنا رواية البلاذرى هى الأقرب للصواب ، حيث يبدو موقف أهل بيرون طبيعياً بعد أن فتح المسلمون مدينة ديبل كما سنرى ، وأصبح هدفهم التالى مدينة بيرون.

ب- التجهيز للحملة

خلال تلك الفترة منح الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك الضوء الأخضر للحجاج للقيام بغزو السند ، ولم يمده بأى قوات من الشام لهذا الغرض ، وكان موقف الوليد هنا مبنياً على قلقه من التكاليف الضخمة المتوقعة لمثل تلك الحملة ، بجانب

---

(١) الكوفى ، فتحنامه ، ص٩٨-١٠٠.

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٦١٤.

الفشل السابق للحملات الانتقامية التى سبق أن أرسلها الحجاج من قبل. لكن يبدو أن الموقف تغير ونجح الحجاج فى تغيير موقف الوليد ، حين تعهد بتمويل الحملة دون أية أعباء على الخلافة ، والتعهد بالتجهيز والتخطيط السليم هذه المرة للحملة ، والانتقام من داهر وابنه والثأر منهما ، بجانب فك أسر النساء المسلمات الأسرى هناك. وبالفعل حصل الحجاج على موافقة الخليفة الأموي على غزو السند عام ٩٢هـ/٧١٠م ، وبدأ فى الاستعداد المنظم لحملة واسعة على السند.

وقد اختلف المؤرخون حول تاريخ هذه الحملة ، فالطبري[١] وابن الأثير[٢] وابن الجوزي[٣] يجعلانها قبل عام ٩٤هـ/٧١٢م ، أما البلاذرى[٤] فلا يحدد تاريخاً لها ، وهناك من يرى أنها انطلقت عام ٩٢هـ/٧١٠م مثل ابن خياط[٥]، واليعقوبى[٦]،

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص ٤٨٣.

(٢) الكامل ، ج٤ ، ص ٢٨٢.

(٣) المنتظم ، ج٦ ، ص٣١٧.

(٤) فتوح البلدان ، ص٦١٢.

(٥) تاريخه ، ص١٩٣.

(٦) تاريخه ، ج٢ ، ص٣٤٥.

والكوفى[١]. ويبدو لنا هنا أن تقديرات المؤرخين هنا متقاربة ، وترجح أن بداية الحملة كانت بالفعل عام ٩٢هـ/٧١٠م.

وقد تناول كل من البلاذري[٢] واليعقوبى[٣] أخبار تلك التجهيزات بشئ من الاقتضاب ، حيث ذكرا أن الحجاج وضع على رأس الحملة القائد الشاب محمد بن القاسم الثقفى[٤]، وأمده بجيش كبير من العراق ، بجانب فرقة من الشاميين تقدر بستة آلاف مقاتل ، وما يحتاجونه من عتاد ، حتى أنه أمدهم بالخيط والخل ، بعد أن علم أنه نادر الوجود بالسند ، حتى لا يحتاج الجيش الإسلامي لأى شيء خلال حملته.

أما الكوفى فنجد عنده تفصيلات دقيقة عن الحملة ، فيما يخص تكوين الحملة وعتادها يفوق ما ذكرته المصادر الأخرى ، بجانب تفرده بتفاصيل لم ترد فى هذه

---

(١) فتحنامه ، ص١٠٤

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٦١٢-٦١٣.

(٣) اليعقوبى ، تاريخه ، ج٢ ، ص٣٤٥-٣٤٧.

(٤) هو محمد بن القاسم بن يوسف بن عمر بن محمد بن أبى الحكم بن عقيل الثقفى ، وهو ابن عم الحجاج ، وللمزيد عنه انظر : ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص٢٦٨ ؛ محمود شيت خطاب ، محمد بن القاسم الثقفى فاتح السند ، مجلة المجمع العلمى العراقى ، المجلد ١٦ ، ١٩٦٨ ، ص ١٢٧ – ١٤٨؛ المباركبورى ، رجال السند والهند ، القاهرة ١٩٨٨ ، ص ٥٠٠ – ٥٠٤.

المصادر ، خاصة فيما يتعلق بموقف الخليفة الوليد من خروج الحملة. فعلى حين أغفلت المصادر الأخرى موقف الخلافة الرافض فى البداية لخروج هذه الحملة ، نجد الكوفي يذكر أن الوليد رفض فى البداية ان تخرج الحملة نظراً للنفقات الطائلة المتوقعة لتجهيزها ، وكذلك بسبب سوء التخطيط فى الحملات السابقة ، والذى ترتب عليه فشل هذه الحملات وهزيمتها. وقد رد الحجاج على الوليد برسالة أكد له فيها أن لديه ما يكفى لتجهيز الحملة دون أن يرهق ميزانية الخلافة بأعباء جديدة ، وأن الحملة ضرورية للثأر ممن اعتدى على حرمة المسلمين ، ووعد الخليفة فى الختام بأن تدر الحملة على الخلافة أضعاف ما سوف ينفق عليها ، ويبدو أن رسالة الحجاج صادفت هوى فى نفس الوليد ، فأعطاه فى النهاية موافقته على خروج الحملة[١].

كما ينفرد الكوفي بذكر تفاصيل دقيقة عن التجهيزات التى صاحب الحملة ، والتى بدأت بطلبه من الوليد أن يرسل إليه فرقة من خيرة جند الشام قوامها ٦٠٠٠ مقاتل بكامل عتادهم ، وحرص الحجاج على مراجعة أسماء جنود هذه الفرقة لاستبعاد من لا يثق بهم ، وحين وصلت هذا الجيش للحجاج فى العراق ، أرسله لمحمد بن القاسم الذى كان فى ولاية فارس فى هذا الوقت ، وأرسل معه جنود من العراق مع ٣٠٠٠ جمل لحمل عتادهم ، وحرص على أن يكون فى هذا العتاد كل ما قد يحتاجه

---

(١) الكوفى ، فتحنامه ، ص١٠١.

الجيش من السلاح والطعام ، كما أمدهم ببعض رؤوس الفيلة والسباع المصنوعة لكى تستخدم فى خداع جيش السند. وقد أمر الحجاج محمد بن القاسم أن يتحرك براً بالجيش حتى يصل إلى ديبل ، على أن يرسل له قوة بحرية تدعمه فى الهجوم على المدينة أيضاً من البحر ، وتحمل فى الوقت نفسه بعض الأسلحة كالسهام والرماح ، والمعدات الثقيلة كالمجانيق[١].

وقد أفادتنا المعلومات الوفيرة التى ذكرها الكوفى فى معرفة مدى التنظيم الدقيق للحملة ، وأظهرت حرص الحجاج على إمداد الحملة بكل ما تحتاجه حتى فى أقل الأشياء مثل الإبر والخيط والخل ، وأمدهم بالجمال لأنه يعرف ان الطريق البرى من فارس إلى السند يمر بمنطقة صحرواية. كما أمد الحملة بعض الأسلحة الثقيلة التى تفيد فى الحصار مثل المجانيق ، وفى الوقت نفسه أدرك أن هذه الأسلحة قد تكون عائقاً أمام التقدم السريع للجيوش الإسلامية ، خاصة عبر الطريق البرى المار بصحراء مكران ، لذلك قرر أن تتخذ الحملة الاتجاهين البرى والبحرى ، حيث تحركت جيوش بن القاسم من إقليم فارس ، فى الوقت الذى أرسل له الحجاج قوات مساعدة بجانب الأسلحة والمؤن عبر الطريق البحرى نحو ميناء ديبل ، لتقابل الجيش الإسلامى هناك.

---

(١) الكوفى ، فتحنامه، ص١٠٢-١٠٤.

وهكذا أظهرت تلك الحملة الاستعدادات مدى عبقرية الحجاج وبعد نظره ، وظهر ذلك أيضاً فى الجيوش المساعدة التى أرسلها لمحمد ، حيث حرص على أن تكون من أهل الشام معقل الأمويين ومستقر حكمهم حتى يضمن بذلك ولائهم ، ولم يعتمد كثيراً على أهل العراق خوفاً من تمردهم ، وحتى لا يتسببوا فى فشل الحملة.

يبقى قبل أن نستعرض وقائع الحملة ، أن نناقش قضية اختلفت فيها المصادر وهى سن محمد بن القاسم حين تولى قيادة الحملة على السند. فقد ذكر اليعقوبي[١] أن عمره وقتها كان ١٥ عاماً ، بينما ذكر الكوفي[٢] أن عمره كان ١٧ عاماً ، أما البلاذري[٣] فلم يذكر عمر ابن القاسم حين تحدث عن ولايته لفارس ثم قيادته للحملة ، لكنه فى حديثه عن وفاته ذكر بعض الأبيات الشعرية التى مدحته ، ومنها بيت شعر يذكر أن محمد بدأ قيادة الجيوش وهو فى عمر ١٧ عاماً. وبالطبع يبدو هذا التقدير من جانب اليعقوبي والكوفى غير صحيح ؛ فمن المعروف أن ابن القاسم قام ببعض

---

(١) تاريخه ، ج٢ ، ص٣٤٥.

(٢) فتحنامه ، ص١٠٠.

(٣) وفى ذلك يقول الشاعر :

إن المروة والسماحة والندى   لمحمد بن القاسم بن محمد

ساس الجيوش لسبع عشرة حجة   يا قرب ذلك سودداً من مولد

انظر، البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٦١٩.

الحملات فى بلاد فارس قبل حملة الهند بعدة سنوات ، ووفقاً لها التقدير فإن عمره وقتها سيكون دون العاشرة تقريبا! وهو أمر مستبعد بالفعل ، والأرجح أن سن (١٧) هو السن الذى تولى فيه ولاية فارس ، أما سنه وقت حملته على السند فكانت بعد ذلك بقرابة عقد كامل ، وعليه فعمره وقت الحملة كان ٢٧ عاماً تقريباً[١]. وقد يؤكد هذا الافتراض رواية البلاذري نفسها ، فهو لم يذكر أن سنة كان ١٧ عاماً وقت توليه قيادة الحملة ، رغم أنه استشهد بأبيات شعر بعدها تذكر أنه بدأ قيادة الجيوش فى هذا السن ، مما يؤكد أن هذا السن كان مرتبط ببداية توليه ولاية فارس وحملاته فى تلك المنطقة.

ج- وقائع الحملة:

الهجوم على ميناء ديبل :

كان ميناء ديبل هو الهدف الأول الذي توجهت إليه حملة ابن القاسم ، ونظراً لأنها تعتبر البداية الحقيقية لفتح السند ، فإننا نجد وفرة فى المادة التاريخية الخاصة بفتحها ليس عند الكوفى فقط ، ولكن لدى كل من البلاذري واليعقوبي ، مع وجود بعض الاختلافات فى بعض الأحداث عند كل من الكوفي والبلاذري.

---

(١) المباركبوري ، العقد الثمين فى فتوح الهند وما ورد فيها من الصحابة والتابعين ، القاهرة ١٩٨٠ ، ص١٤٤.

وصلت حملة ابن القاسم بالقرب من ميناء ديبل فى ربيع عام ٩٣هـ/٧١١م ، كما وصل أيضاً القوة البحرية التى أرسلها الحجاج بعد أن سارت بمحاذاة ساحل مكران تجنباً للصدام المبكر مع البحرية السندية . وقد قام ابن القاسم بضرب حصار حول أسوار المدينة التى فوجئ أهلها بمقدم المسلمين ، وتنفيذاً لتعليمات الحجاج تم حفر خندق حول معسكر الجيش حتى لا يسمح بتسلل أى عناصر سندية ، كما تم نصب المناجيق استعداداً لدك المدينة واقتحامها. وكان الحجاج قد أمد الجيش الإسلامى بمنجنيق ضخم يسمى (العروس) كان يحتاج ٥٠٠ رجل لنصبه كما ذكرت المصادر[١] .

وقد أصدر الحجاج تعليماته لابن القاسم بعدم مهاجمة المدينة إلا بعد وصول أوامره. وكان بالمدينة معبداً بوذياً كبيراً وكان بأعلاه برج تعلوه راية ذكر البلاذرى[٢] أنها حمراء ، بينما ذكر الكوفى[٣] أنها خضراء ، وبالطبع يبدو ما ذكره البلاذري هو الأقرب للصواب نظراً لارتباط التقاليد البوذية باللون الأحمر. وكان السكان يعتقدون أن هذا البرج يحميهم طالما كانت تلك الراية تخفق فوقه ، لذلك قرر ابن القاسم استخدام

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٦١٣ ؛ اليعقوبى ، تاريخه ، ج٢ ، ص٣٤٥ ؛ الكوفى ، فتحنامه ، ص١٠٨.

(٢) المصدر نفسه ، ص٦١٣.

(٣) المصدر السابق ، ص١٠٨.

الحرب النفسية من خلال مهاجمة هذا البرج بقذائف المناجيق فى محاولة لإسقاطه للتأثير المعنوى على السكان الذين كان يدين أغلبهم بالبوذية.

وقد اختلف كل من البلاذري والكوفى فى الرواية الخاصة بصاحب اقتراح مهاجمة البرج وهدمه ، فقد ذكر البلاذرى[1] أن ابن القاسم حين أرسل للحجاج يخبره بوضع المدينة ، أمره الحجاج بتوجيه منجنيق العروس صوب هذا البرج وضربه وإسقاطه ، بينما ذكر الكوفى[2] أنه أحد البراهمة من سكان المدينة خرج منها وذهب لمعسكر الجيش الإسلامي وأشار على ابن القاسم بضرورة مهاجمة البرج حتى يمكنه اقتحام المدينة. وقد لا نجد تعارضاً بين ما ذكره كل من البلاذرى والكوفى ، فربما أشار أحد البراهمة على ابن القاسم بذلك نكاية فى البوذيين فى ظل الصراع المحتدم بين الطائفتين كما سبق وأوضحنا سابقاً ، ثم عرض ابن القاسم الأمر على الحجاج فوافقه على ذلك.

لم يصمد البرج طويلاً أمام ضربات المسلمين ، وسرعان ما تهاوى أمام تلك الضربات ، وكان لهذا رد فعل سيئ على سكان المدينة فهبطت معنوياتهم مما سهل على المسلمين اقتحام المدينة ، لكن حامية المدينة وواليها واصلوا المقاومة ، وبعد

(١) فتوح البلدان ، ص٦١٤.

(٢) فتحنامه ، ص١٠٩.

قتال شديد تم فتح المدينة عنوة وأمر ابن القاسم بقتل ما تبقى من حاميتها بناء على تعليمات الحجاج، كما قام باقتحام المعبد وقام بقتل اثنان من سدنته كانا يحرضان الرهبان على المقاومة وعفا عن الباقين.

وقد انفرد البلاذري[١] ببعض التفصيلات عن نتائج فتح الديبل لم ترد لدى الكوفي ومنها ؛ أن ابن القاسم بدأ يتخذ فى المدينة نفس الاجراءات الإدارية التى كان يقوم بها المسلمون بعد فتح أى مدينة ، حيث قام بتمصيرها وترك فيها حامية مكونة من أربعة آلاف مقاتل ، وقام ببناء مسجد جامع وخط مساكن جديدة للمسلمين هناك.

على الجانب الآخر انفرد الكوفي[٢] هو الآخر – كعادته – ببعض التفاصيل التى لم ترد فى أى مصدر آخر ومنها ؛ أن البرهمى الذى نصح ابن القاسم بتحطيم البرج دل المسلمين على السجون التى يوجد بها أسرى السفن التى هاجمها القراصنة فقام ابن القاسم بفك أسرهم. كما ذكر أن خبر سقوط الديبل حين وصل داهر أرسل لابنه يأمره بترك مدينة نيرون – التى كان من الواضح أنها الوجهة الثانية للمسلمين بعد الديبل – بعد أن يولى عليها حاكم قوى يمكنه الدفاع عنها ثم يتوجه إلى برهمناباد.

---

(١) فتوح البلدان ، ص٦١٤.

(٢) فتحنامه ، ص١١١–١١٣.

فتح نيرون:

تحرك ابن القاسم بعدها نحو مدينة نيرون ، التي يذكرها كل من البلاذري[1] وابن خياط[2] باسم البيرون ، فى حين يذكرها اليعقوبى[3] باسم النيرون ، أما الكوفي[4] فيذكرها باسم نيرون ، والاختلاف هنا فى حرف واحد فقط ما بين الباء والنون وربما كان ذلك من خطأ النساخ ، والمسمى الصحيح لهذه المدينة هو ما ذكره اليعقوبى والكوفى.

ولم تهتم المصادر السابقة بالحديث طويلاً عن فتح هذه المدينة التى كان يحكمها جيسيه ابن داهر ، بل اكتفت بذكر الفتح فى عبارات مقتضبة ، ربما لأن الفتح تم فى سهولة ويسر. وعلى العكس من ذلك نجد كثير من التفاصيل لدى الكوفي فى حديثه عن فتح هذه المدينة. حيث بدأ بذكر الرسالة التى أرسلها داهر إلى ابن القاسم متوعداً إياه بأن يلقى مصير الحملات الإسلامية الأولى ، وأن نجاحه فى فتح مدينة ديبل يرجع إلى أنها مدينة تجارية وليست قلعة عربية محصنة ، ويحذره

---

(١) فتوح البلدان ، ص٦١٤.

(٢) تاريخه ، ص١٩٣.

(٣) تاريخه ، ج٢ ، ص٣٤٥.

(٤) فتحنامه ، ص١١٣.

بضروره الرجوع عن بلاده قبل أن ينتقم منه. وقد رد عليه ابن القاسم برسالة قوية ساخراً من تهديده ومتوعداً إياه بالهزيمة[1].

تقدم ابن القاسم بجيشه وحاصر مدينة نيرون ، وقد اختلف البلاذري فى الجزء الصغير الذى ذكره عن حصار نيرون عما ذكره الكوفي. فقد ذكر البلاذري[2] أن أهلها كانوا قد ارسلوا وفداً للحجاج يطلب الأمان ، وحين وصل ابن القاسم عند أسوار مدينتهم استقبلوه بالترحاب وقدموا له ما يحتاجه جيشه من مؤن غذائية وأعلاف الحيوانات فمنحهم الأمان وصالحهم. أما الكوفي[3] فذكر أن والى المدينة وهو راهب بوذي ذهب إلى داهر ثم عاد عند الحصار وفتح المدينة أمام ابن القاسم وجيشه وأمدهم بما يحتاجونه وقدم لهم الهدايا ، وأعلن أنهم فى خدمة الخلافة والحجاج بن يوسف ، فمنحهم ابن القاسم الأمان ثم قام ببناء مسجد جامع فى المدينة.

وتبدو هنا رواية البلاذري هى الأقرب للصحة وتستقيم مع طبيعة الأحداث بعكس ما ذكره الكوفي ، فليس من المعقول أن يذهب وال المدينة إلى داهر ثم يعود ويسلم المدينة بسهولة إلى ابن القاسم ، لكن الطبيعى أن أهل المدينة البوذيين– وكانوا فى الأصل يبغضون الحكم البرهمى الممثل فى داهر – يرحبون بالفاتح الجديد،

---

(١) فتحنامه ، ص١١٣–١١٥.

(٢) فتوح البلدان ، ص٦١٤.

(٣) المصدر السابق ، ص١١٧–١١٨.

فأرسلوا للحجاج يطلبون الأمان قبل مقدم الجيش الإسلامى نحو مدينتهم ، فلما حضر ابن القاسم احسنوا استقباله وحصلوا على الأمان الذى طلبوه.

ولكى نفسر هذا السلوك من جانب البوذيين لابد أن يكون ذلك فى إطار رد فعل كل من السلطات الحاكمة والسكان المحليين تجاه الفتح الإسلامى ، فكما ذكرنا كان الصراع محتدماً بين البراهمة والبوذيين ، ورغم أن غالبية السكان كانوا من البوذيين فإن السلطة كانت فى أيدى البراهمة ، وأتبع هؤلاء سياسة جائرة ضدهم ، ومن هنا كان هناك نفور دائم بين البراهمة من الأرستقراطية الحاكمة وعامة الشعب من البوذيين ، وجاء هذا التنافر فى صالح المسلمين ، لذلك كانت بعض العناصر المحلية لا تقاوم الفتح الإسلامى على الإطلاق ، بل رحبوا بالحملات الإسلامية وساعدوها فى بعض الأحيان. وهكذا كانت السلطات الحاكمة من البراهمة تقاوم الفتح الإسلامى بشدة ، أما غالبية السكان من البوذيين فقد رحبوا بالفتح وفى هذا الإطار يمكن تفسير سلوكهم تجاه ابن القاسم[١] .

---

(١) محمد نصر ، الوجود الإسلامي فى الهند ، ص٢٩ ؛

Qureshi , The Muslim Community of the Indo-Pakistan Subcontinent , (The Hague, 1962), p.38.

فتح سيوستان[١]:

يكاد الكوفي ينفرد بذكر كل تفاصيل فتح هذه المدينة ، فالإشارات الموجودة لدى كل من البلاذري واليعقوبي مقتضبة إلى حد الغموض ، لذا سنبدأ باستعراض وقائع الفتح من خلال ما ذكره الكوفي ، ثم نقارن ذلك بالإشارات المقتضبة التى وردت فى المصادر الأخرى.

تحرك ابن القاسم نحو سيوستان التى كان يحكمها ابن عم داهر حاكم السند ، وقد حاول سكانها من البوذيين إثناء حاكمها عن مقاومة الجيش الإسلامي ولما فشلوا فى ذلك أرسلوا إلى ابن القاسم يعلنوا ترحيبهم به ورفضهم للمقاومة. وبعدها ضرب ابن القاسم حصاراً قوياً حول المدينة ، ولما شعر حاكمها بوطأة الحصار قرر الفرار من المدينة فسقطت فى أيدى المسلمين. ثم توجه بعدها لحصار حصن (سيوبس) فسارع أهلها البوذيين إلى إرسال مندوب عنهم يعلن ترحيبهم بقدومه على غرار ما فعله أقرانهم فى سيوستان[٢].

---

(١) وتسمى أيضاً سدوستان ، وتقع على الجانب الغربى لأحد روافد نهر السند. انظر ، ابن حوقل، صورة الأرض ، ص٢٧٦.

(٢) الكوفى ، فتحنامه ، ص١١٩-١٢١.

وبعدها توجه ابن القاسم لمنطقة البدهة[1] المجاورة لسيوستان ، وقد تحرك سكان المدينة من البوذيين وحاولوا اقناع حاكمها وكان يدعى كاكا كوتال بعدم المقاومة ، وادعوا أن هناك نبوءة قديمة تبشر بفتح السند على أيدى المسلمين ، وتردد كاكا فى البداية لكنه تحت ضغط البراهمة فى مدينته سمح لجيش من قواته بالخروج لقتال المسلمين ، لكن الجيش أصابته عوارض غريبة أدت لتفرقه وتشتته قبل أن يواجه المسلمين فاقتنع الحاكم تماماً بصدق النبوءة وقام بتسليم المدينة لابن القاسم[2].

تلك كانت تفاصيل فتح هذه المدينة وتخومها من خلال رواية الكوفي ، أما ما ذكره البلاذري[3] فكما ذكرنا كان مقتضباً ، حيث ذكر أن الرهبان البوذيين فى حصن (سربيدس) تصالحوا مع ابن القاسم واستسلموا له ، ثم انطلق إلى مدينة (سهبان) ففتحها ، كما أرسل فرقة من جيشه إلى سدوستان فطلب أهلها الأمان والصلح فأمنهم وولى علي المدينة رجلاً من رجاله. أما اليعقوبي فلم يذكر سوى عبارة واحدة :

---

(١) وتقع إلى الغرب من نهر السند ما بين مدينتى مكران ومولتان. انظر ، الاصطخرى ، المسالك والممالك ، ص١٧٦.

(٢) الكوفى ، فتحنامه ، ص١٢٢-١٢٤.

(٣) فتوح البلدان ، ص٦١٥.

" وسار إلى سهيان ففتحها "[١]. ومن الواضح هنا أن سربيدس هى تحريف لكلمة سيوبس التى ذكرها الكوفي ، وهذا الحصن يقع فى مدينة سيهان ، والاثنان يقعان فى منطقة البدهة التى سبق ذكرها. أما ما ذكره البلاذرى عن الفرقة التى أرسلها ابن القاسم إلى سيوستان فلم يكن يقصد به أنها المرة الأولى التى يصل إليها المسلمون بل كانت بعد أن فتحها المسلمون ثم حدث تمرد من بعض أهلها بعد أن تركها ابن القاسم وهذا ما نفهمه من كلام الكوفى ، وبذلك يكون البلاذري قد اغفل تواجد الجيش الإسلامي فى سيوستان فى المرة الأولى. وهكذا نرى أن كل من البلاذري واليعقوبي لم يذكرا الكثير عن فتح هذه المدينة وما ذكراه كان باقتضاب شديد.

ونلاحظ هنا استمرار الترحيب من جانب البوذيين فى السند بالفاتحين المسلمين وهو أمر سبق وأن فسرناه بالمعاناة العنصرية التى كانوا يلاقونها فى ظل حكم البراهمة. كما نلاحظ هنا ظهور نبوءة التبشير بالفتح الإسلامى للسند ، وهى نبوءة ستظهر عند فتح كثير من مدن السند ، وربما كان تفسير هذه النبوءة هى رغبة البوذيين فى الخلاص من حكم البراهمة المستبد.

---

(١) تاريخه ، ج٣ ، ص٣٤٥.

الصدام مع داهر:

على الرغم من توغل الجيش الإسلامي فى السند ، والمعارك الكثيرة التى خاضها هناك ، إلا أن الجيش الإسلامى حتى هذا الوقت لم يكن قد اصطدم بداهر ملك السند مباشرة. وقد مر الصدام مع داهر بمرحلتين ؛ الأولى دارت فيها المفاوضات بين الطرفين قبل عبور الجيش الإسلامي لنهر السند ، والمرحلة الثانية هى المعركة الفاصلة التى اصطدم فيها ابن القاسم بداهر. وقد تحدث البلاذري عن المرحلة الأولى بعبارة مقتضبة: " ثم إن محمداً احتال لعبور مهران حتى عبره مما يلى بلاد راسل ملك قشة من الهند على جسر عقده"[١]. وكما نرى فإن عبارة البلاذري مقتضبة لكننا نجد تفسير لها مع تفاصيل أكثر عن هذا الحدث لدى الكوفي الذى ذكر أن الحجاج أرسل لابن القاسم يأمره بعبور نهر السند وقتال داهر ، وقد ساعدت الظروف ابن القاسم فى التعجيل بهذا الأمر ، فرغم أن المنطقة المجاورة للنهر والتى يمكنه العبور منها وتسمى كشها[٢]، كانت تخضع لملك يدعى (راسل بساية) وهو من الرجال المخلصين للملك داهر ، ألا أن أخو هذا الملك ويدعى (موكا بساية) لم يكن مقتنعاً بمقاومة المسلمين نتيجة النبوءة التي راجت فى السند حول انتصار المسلمين

---

(١) فتوح البلدان ، ص٦١٥.

(٢) وتسمى أيضاً كوشة ، وهى جزيرة دلتا مجاورة لنهر السند. انظر ، ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص٢٧٦.

المحتوم ، فأرسل لابن القاسم يعلن خضوعه له لكنه طلب منه أن يكون خضوعه بشكل غير مباشر حتى لا يلحق العار بسمعة عائلته ولأن أخاه راسل ما زال على ولائه للملك داهر، واتفق معه على ان يخرج فى جمع قليل من رجاله فيتعرض له المسلمون ويأسرونه وبذلك يكون من المنطقى خضوعه لابن القاسم. وبالفعل تم تنفيذ ذلك وفى النهاية قدم موكا لابن القاسم ما يحتاجه جيشه من مئونة ، بل ودله على أفضل منطقة يمكنه منها أن يعبر نهر السند ، وأمده بالقوارب التى تعين رجاله على عبور النهر بسهولة. وقد استشار داهر كل من وزيره ومحمد العلافي حول سبل مواجهة ابن القاسم ، فأشار عليه العلافى بضرورة ألا يسمح لجيش ابن القاسم بعبور النهر وأن عليه أن يبادر بالعبور قبله ، بينما أشار عليه وزيره بالبقاء فى مكانه وانتظار عبور ابن القاسم حتى يكون مستعداً له بشكل كامل ، وقد فضل داهر رأى وزيره ومكث فى عاصمته الرور ولم يحاول أن يمنع ابن القاسم من عبور نهر السند[١] .

ونلاحظ فى هذه المرحلة أن تأثير النبوءة التى بشرت بانتصار المسلمين وفتح السند على أيديهم قد انتقل تأثيرها من عامة البوذيين إلى السلطة الحاكمة من البراهمة أنفسهم ، ولا شك أن ذلك قد ساهم بشكل كبير فى نجاح عمليات فتح السند.

---

(١) الكوفى ، فتحنامه ، ص١٣٢-١٤٩.

وقد رأى أحد الباحثين[1] أن هذه النبوءات التى بشرت بالفتح العربى للسند صنعت بواسطة البوذيين لمصلحة المسلمين نكاية فى حكم البراهمة. ورأى باحث آخر[2] أن خضوع كل من كاكا وموكا لنفوذ المسلمين مرجعه هو الطموح السياسى والرغبة فى الاحتفاظ بسلطانهم ، لقناعتهم الشديدة بأن المسلمين هم الجانب المنتصر. كما أن خضوع البوذيين للمسلمين لم يكن يعنى ذلك أنهم قد دخلوا فى الإسلام ، بل كان مجرد خضوع سياسى للفاتح المسلم ، لا يتضمن بالضرورة تغيير معتقداتهم الدينية.

والرأى الأول قد يبدو فيه بعض الصحة لكنه أغفل جانباً آخر وهو أن هذه النبوءة أقر بها البراهمة أيضاً ، فحين سأل داهر منجميه وكهنته وهم من البراهمة عن مصير معركته مع ابن القاسم أخبروه بأن هناك نبوءة تبشر بالفتح الإسلامى للسند[3]. أما الرأى الثانى فقد يكون واقعياً فى بداية الفتح لكن الأمر سرعان ما تغير واقبل البوذيون على الإسلام ، يدل على ذلك تحول غالبية السكان للإسلام فيما بعد.

أما عن المعركة الفاصلة بين الطرفين فقد اكتفى البلاذري[4] بذكر أنه وقعت معركة حامية الوطيس بين جيش المسلمين وجيش داهر انتهت بهزيمة الأخير ومقتله

---

(1) Qureshi, The Muslim Community, p.39.

(2) Friedmann , " The Early History of Islam in India ",p.326.

(٣) الكوفى ، فتحنامه ، ص ١٢٩.

(٤) فتوح البلدان ، ص٦١٥.

، وذلك دون أن يعطي تفاصيل وافية عن المعركة ومقدماتها ، وقد اتفق معه اليعقوبي فى ذلك[١]. على الجانب الآخر يمدنا الكوفى[٢] بتفاصيل وافية عن المعركة ومقدماتها ، بداية من قيام ابن القسم بتكوين جسر من السفن عبر نهر السند ليعبر عليه جنوده مرة واحدة بدل من العبور فى السفن متفرقة ، ثم استخفاف داهر بابن القاسم وعدم توقعه لهذا لعبور السريع وإرساله ابنه جيسيه بجيش لمواجهة ابن القاسم وفشله فى هذا الأمر ، مما جعله فى النهاية يخرج بنفسه على رأى جيش ضخم مدجج بالأسلحة والعتاد. وقبل المعركة المرتقبة انضم راسل إلى أخيه فى طاعة ابن القاسم ، حيث أرسل لابن القاسم يطلب الدخول فى طاعته بنفس الطريقة التى فعلها أخوه موكا ، حيث أدعى أنه ذاهب لمقابلة داهر فتعرض له فى الطريق رجال ابن القاسم وأسروه ، وانضم بذلك للمعسكر الإسلامي. ويبدو أن راسل أدرك أخيراً صحة ما أقدم عليه أخوه ، وأن المستقبل سيكون فى جانب المسلمين فقرر الانضمام إليهم فى النهاية.

على الجانب الآخر وبعد أن فوجئ داهر باجتياز المسلمين النهر، كان عليه خوض غمار موقعة حاسمة يتوقف عليها مصير مملكته كلها ، وبعد مناوشات طويلة وفى شهر رمضان من عام ٩٣هـ بدأت وقائع المعركة الفاصلة التى حشد فيها داهر

(١) تاريخه ، ج٢ ، ص٣٤٧.

(٢) فتحنامه ، ص١٤٦-١٧٧.

كافة أسلحته ، واستمرت المعركة طيلة عشرة أيام ما بين كر وفر من الجانبين ، حتى انتهت بانتصار ساحق للمسلمين ومقتل داهر نفسه فى المعركة[١].

وقد برز خلال هذه المعركة الحاسمة مدى دعم الحجاج ومتابعته لقائده الشاب ، فقد كان حريصاً من خلال الرسائل المتبادلة بينهما على إسداء النصح له وتعنيفه فى بعض الأحيان حين كان يتقاعس عن تنفيذ أوامره ، كما كان يحرص على مد الجيش بكل ما يحتاجه ، وحين أصابت جيش بن القاسم ضربة موجعة حين نفقت أغلب الخيول المصاحبة للجيش مما أدى لاضطراب فى أحوال المسلمين ، سارع بإرسال ألفى فرس على الفور حتى لا يؤثر ذلك على قوة جيش ابن القاسم[٢]. ومن المعروف أن الخيل لم تكن تصلح للعيش طويلاً فى بيئة السند ، إذ يذكر العمري[٣]: " أن الخيل إن طالت إقامتها بالهند انحلت وأكثرها مما لا يحمد فعله ، لذا كان يتم

(١) الكوفى ، فتحنامه ، ص ١٤٢.

(٢) المصدر نفسه ، ص١٤٢-١٤٣.

(٣) مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ، ج٣ ، تحقيق: محمد عبد القادر خريسات ، الإمارات ٢٠٠١ ، ص٧١.

جلب الكثير من الخارج ". وبالفعل كانت الخيول هى إحدى السلع الهامة التي كانت تستوردها السند من شبه الجزيرة العربية[١].

فتح برهمناباد

بعد مقتل داهر تزعم ابنه جيسيه المقاومة ضد الفاتحين المسلمين ، فاتجه إلى مدينة برهمناباد وتحصن بها ، وكان على ابن القاسم أن يطارده وفقاً لتعليمات الحجاج فتقدم بجيشه وقام بحصار المدينة. وفى كلمات قليلة يذكر البلاذري[٢] أن ابن القاسم دخل فى معركة حامية الوطيس ضد حامية المدينة حتى فتحها عنوة وسقط الكثير من أهلها ما بين قتيل وأسير. أما الكوفى فيذكر رواية مختلفة نوعاً ما عن البلاذري مع تفاصيل وافية كعادته ، حيث يذكر أن جيسيه لما رأى قوة الحصار حول مدينته تركها وخرج ليطلب مساندة باقى الأمراء الهنود ، وأن كبار التجار بالمدينة اجتمعوا واتفقوا على مراسلة ابن القاسم وتسليم المدينة له لما رأوا عدم جدوى الحصار ، واتفقوا معه على أن يتم الأمر بشكل غير مباشر خوفاً من اتباع جيسيه ، فزعموا أنهم سيخرجون لقتال ابن القاسم ثم ينسحبوا ويتركوا باب المدينة ليدخل منه

---

(١) ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ، ص٦٧ ؛ السيرافى ، رحلة السيرافى ، بغداد ١٩٥٦ ، ص ١٤٧.

(٢) فتوح البلدان ، ص٦١٦.

بسهولة ، وبالفعل نفذوا وعدهم ودخل ابن القاسم المدينة ثم اشتبك مع اتباع جيسيه وقتل بعضهم قبل أن يستسلموا له.

وقد حدث تغيير جذرى فى موقف البراهمة تجاه ابن القاسم ، فبعد فتح المدينة توجه إليه كبار رجال المدينة من البراهمة وطلبوا الأمان ، وكدليل على صدق تعاونهم قاموا بتسليمه أرملة داهر رانى لادى ، ولم يخيب ابن القاسم رجائهم ، ومنحهم الأمان بجانب حرية ممارسة شعائرهم الدينية ، بل زاد على ذلك بحفاظه على مكانتهم الاجتماعية وأبقى على بعضهم فى مناصبهم القديمة ، بل وقام تعيين بعضهم كجباة للجزية فى المناطق المفتوحة[١].

ولا شك أن موقف البراهمة هنا فى الترحيب بالفاتحين المسلمين كان مختلفاً عن موقف البوذيين ، فإذا كان البوذيين قد رحبوا بالفتح رغبة منهم فى التخلص من حكم البراهمة المستبد ضدهم ، فإن البراهمة هنا وقد أدركوا عجزهم عن مقاومة الفاتحين المسلمين ، اتجهوا للتفكير بشكل عملى للاستفادة من الأوضاع الجديدة خوفاً على مكانتهم القديمة.

---

(١) الكوفي ، فتحنامه ، ص ١٨٤-١٩١.

فتح الرور

كانت الرور حاضرة مملكة السند ومقر ملوكها لفترات طويلة ، وكان سقوطها هو المسمار الأخير فى نعش حكم أسرة داهر ، لذلك حرص ابن القاسم على تركيز جهوده فى حصار تلك المدينة مستغلاً غياب جيسيه عنها. وقد أشار البلاذري لفتح هذه المدينة إشارة عابرة بذكر أنها فتحت صلحاً ، وأنه أبقى على معبد المدينة البوذى وأعتبر أهلها من ضمن أهل الذمة بقوله " ما البد إلا ككنائس النصارى واليهود وبيوت نيران المجوس "[١].

على الجانب الآخر نجد لدى اليعقوبي والكوفى مزيد من التفاصيل عن فتح هذه المدينة ، فقد ذكرا أن أهل المدينة قاوموا بشدة فى البداية جيش ابن القاسم ظناً منهم أن داهر ما زال على قيد الحياة وسوف يحضر لنجدتهم ، وهنا قام ابن القاسم بالاستعانة بزوجة داهر لكى تقنع سكان المدينة بموت زوجها ، لكنهم لم يصدقوها وظنوا أنها تأثرت بوجودها فى أسر العرب ، ثم قاموا بأمر أخير وهو استشارة ساحرة المدينة فى مسألة موت داهر فأخبرتهم أنه مات بالفعل. وأدى خبر موت داهر ، بجانب قوة حصار ابن القاسم للمدينة إلى التأثير النفسى على سكانها ، مما دفعهم

---

(١) فتوح البلدان ، ص٦١٦.

لطلب الصلح منه مع عهد الأمان ، وقد قبل ابن القاسم الصلح ودخل المدينة بسهولة وعفا عن أهلها.

وواقع الأمر أن جيش ابن القاسم اكتسب سمعة هائلة سواء من حيث قوته أو معاملته الطيبة لسكان السند ممن أحسنوا استقباله ، وأصبح سكان السند يرحبون به ويحتفون بمقدمه بصورة لم يألفها أى فاتح من قبل ، فأثناء تحركه نحو مدينة الرور عرج فى طريقه على مواطن قبائل الساما ، وفور ظهور طلائع الجيش الإسلامى بدأ أفراد هذه القبائل يدقون الطبول ويعزفون ويرقصون احتفالاً وترحيباً بابن القاسم ، وعندما استفسر الأخير عن تلك الضوضاء أخبروه أنها عادة القبائل فى ترحيبها بالحاكم الجديد[١].

وقد يبدو ما ذكره البلاذري غريباً فى مساواة ابن القاسم سكان السند الوثنيين بأهل الكتاب من اليهود والنصارى ، والإبقاء على معابدهم الوثنية رغم أنه دمرها فى الديبل ، ولكن يمكننا أن نتفهم هذا الوضع فى ضوء أن المدينة فتحت صلحاً دون قتال أو خسائر فى الجيش الإسلامى. أما على الجانب الآخر من الأمر وهو اعتبارهم كأهل ذمة وبالتالى تركهم يؤدون شعائر دينهم مقابل أداء الجزية ، فإن ذلك يجب أن ننظر إليه فى ضوء أن الفقه الإسلامى طور هذا المنظور ليلائم الوضع الجديد فى

---

(١) اليعقوبى ، تاريخه ، ج٢ ، ص٣٤٧ ؛ الكوفي ، فتحنامه ، ص٢٠٠-٢٠٥.

الدولة الإسلامية ، فنجد مثلاً فى هذا الصدد نصاً يقول " وجميع أهل الشرك من المجوس ، وعبدة الأوثان ، وعبدة النيران ، والصابئين ، والسامرة ، تؤخذ منهم الجزية ، ما خلا أهل الردة من أهل الإسلام ، وأهل الأوثان من العرب ، فإن الحكم فيهم أن يعرض عليهم الإسلام ، فإن أسلموا وإلا قتل الرجال منهم وسبى النساء والصبيان " [1].

فنطاق الجزية هنا اتسع ليشمل عناصر أخرى من غير أهل الكتاب ، وتلك نظرة متطورة للفقه الإسلامى تلائم الوضع الجديد داخل الدولة الإسلامية ، فى بلدان كان غير أهل الكتاب فيها أكثرية ، ولا يمكن قهرهم بالقوة . لذا فإن أحوالهم بهذا تكون أفضل من أهل الكتاب ، فلا هم أسلموا ، ولا هم قاموا بدفع الجزية[2]. وليس هناك ما يمكن أن يعبر عن هذا المنظور أفضل مما جاء لدى أحد كبار الفقهاء المسلمين إذ يقول : " إن عبدة الأوثان إذا كانوا أمة كبيرة لا تحصى كالهند وغيرهم ، حيث لا يمكن استصلاحهم بالسيف ، فإذلالهم وقهرهم بالجزية أقرب لعز الإسلام وأهله وقوته من إبقائهم بغير جزية ، فيكونون أحسن حالاً من أهل الكتاب . وسر

(١) أبو يوسف ، كتاب الخراج ، القاهرة ، ١٣٩٦ هـ ، ص ١٣٩ .

(٢) محمد نصر عبد الرحمن ، الوجود العربى فى الهند ، ص١٦٦.

المسـألة أن الجزيــة مـن بـاب العقوبـات ، لأنـهـا كرامـة لأهـل الكتـاب فـلا يسـتحقها سواهم"[١].

فتح مولتان

مع مطلع عام ٩٥هـ/٧١٣م استعد ابن القاسم بعد ذلك لخطوة هامة فى طريق الفتح الكامل للسند وهى فتح مدينة مولتان ، التى عدت من أعظم مدن السند وأحصنها ، بجانب كونها العاصمة الدينية للمملكة وقبلة الحجاج البوذيين من شتى أنحاء الهند ، لذا كان من الطبيعى أن تقاوم هذه المدينة بضراوة. وقد انفرد كل من البلاذري والكوفي بذكر تفاصيل فتح هذه المدينة ، وتتشابه لديهما خطوات فتحها مع اختلاف بسيط فى بعض التفاصيل الخاصة بفتح المدينة. وقد ذكر البلاذري[٢] أن المسلمين حاصروا المدينة حصاراً طويلاً أدى إلى نقص الإمدادات الغذائية معهم ، واضطرهم ذلك إلى أكل لحوم بعض الحمير المصاحبة للحملة إنقاذاً للموقف ، وسرعان ما جاء رجل من سكان المدينة ودل المسلمين على طريقة للضغط على سكان المدينة لفتح المدينة ، حيث ذكر لهم أن هناك فرع من نهر يدخل المدينة وهو مصدر حصولهم على الماء وقام ابن القاسم بحجز مياه هذا النهر مما أدى لقطع

---

(١) ابن قيم الجوزية ، أحكام أهل الذمة ، ج١ ، دمشق ، ١٩٦١ ، ص ١٧.

(٢) فتوح البلدان ، ص٦١٧.

إمداد المياه عن المدينة واستسلام أهلها. وقد اختلف الكوفى[1] فى روايته عن البلاذري فيما يخص ما ذكره هذا الرجل وطريقة اقتحام المدينة ، حيث يذكر أن الرجل دلهم على مكان يمكنهم فيه نقب سور المدينة بسهولة ونجح المسلمون بعد ثلاثة أيام من نقب السور والدخول الى المدينة.

وقد اتفق المؤرخان فى روايتهما على موقف ابن القاسم من سكان المدينة ، فنظراً للمقاومة الشديدة التى أبدتها حامية المدينة وكثرة خسائر المسلمين أثناء حصار واقتحام هذه المدينة فقد أصدر ابن القاسم حكمه بقتل من تبقى من حامية المدينة ، كما قام بأسر السدنة البوذيين الذين استماتوا فى الدفاع عن مدينتهم بوصفها أهم معاقل البوذية فى السند.

ووجد المسلمون فى تلك المدينة تعويضاً عن تلك النفقات الباهظة التى تكلفتها هذه الحملة ، حيث اعتاد الحجاج الهنود من زائرى المدينة أن يضعوا فى معبدها نذورهم من الذهب والجواهر ، وبلغ من كثرة ما غنمه المسلمون من تلك المدينة أن أطلقوا عليها فرج بيت الذهب[2].

---

(١) فتحنامه ، ص٢١٤.

(٢) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص١٧٤-١٧٥.

وقد ابقى ابن القاسم على المعبد الرئيسى للمدينة وتمثال بوذا الذى يتوسطه دون أن يقوم بتحطيمهما كما فعل فى مدن سابقة ، وقد اختلفت الروايات فى تفسير هذا السلوك من جانب ابن القاسم ، فالبلاذري[١] لم يذكر مصير المعبد والتمثال واكتفى فقط بذكر أن المسلمين استولوا على الذهب الموجود به ، أما الكوفي[٢] فذكر أن ابن القاسم ازاح التمثال فقط من مكانه ليحصل على ما أسفله من ذهب وجواهر قد اخبره بوجودها أحد البراهمة. أما ابن الجوزى[٣] فقد ذكر أن سكان مولتان عرضوا على ابن القاسم ثلث دخل المعبد مقابل الابقاء على المعبد والتمثال ، وأنه أرسل للخليفة الأموى يشاوره فى ذلك فأعطاه موافقته على الأمر. أما البيروني[٤] فقد ذكر أن ابن القاسم أبقى على تمثال مولتان المقدس ، واكتفى بوضع قطعة من اللحم فى عنقه على سبيل التحقير.

(١) فتوح البلدان ، ص٦١٧.

(٢) فتحنامه ، ص٢١٥-٢١٦.

(٣) تلبيس إبليس ، تحقيق محمد الصباح ، بيروت ، ١٩٨٩ ، ص ١٠٠ .

(٤) البيرونى ، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة للعقل أو مرذولة ، تحقيق ساخو ، فرانكفورت ١٩٩٣ ، ص ١١ .

وقد فسر بعض الدارسين المحدثين[1] سلوك ابن القاسم هذا من منظور مادي بحت ، حيث رأوا أن الدافع المادى كان المحرك الأول لهذا السلوك ،حيث كان المعبد والتمثال مصدر دخل كبير للمدينة لقداسته عند البوذيين. كما يستدلون على ذلك أيضاً بأنه حطم العديد من المعابد الأخرى فى ديبل وقتل الكثير من سكان برهمناباد ولم يتركهم كما فعل مع مولتان ، بالرغم من تشابه حالات المقاومة والفتح عنوة.

ونحن لا ننكر ذلك ، لكن الدافع المادى لم يكن وحده السبب فى ذلك ، إذ كان هناك أيضاً الدافع الاستراتيجى ، وكذلك العمل عل ائتلاف قلوب الهنود بتلك السياسة أيضاً . أما بالنسبة لمقارنة تلك الحالة مع ما حدث فى ديبل وبرهمناباد ، فالواقع أن الأمر كان مختلفاً ، فخلال حصار ديبل بدا أن هدم المعبد هو الحل الأمثل لكسر شوكة المدينة ، التى كان من الضرورى فتحها ، بوصفها أول ميناء هندى قابل المسلمين . أما برهمناباد فقد تحصن بها من تبقى من قوات داهر ، وقاوموا مقاومة

---

(١) عن هذا الرأى انظر:

Friedmann, " The Temple of Multan, A Not on Early Muslim Attitudes to Idolatry", *IOS,* 2 (1972),, p.178; Nigam, " Religious Attitudes of Muslim Rulers in India (711 A.D - 1388 A.D)", *Islamic Culture,* 56 (1982), p.97.

شديدة ، لذلك كان من الطبيعى أن يسقط الكثير من القتلى من الجنود فيها . كما أن هؤلاء المؤرخين تجاهلوا السلوك السلمى لابن القاسم تجاه مدن أخرى[١].

د- نتائج الحملة

حققت حملة ابن القاسم خلال تلك الفترة نجاحاً كبيراً ، فقد خضعت غالبية مملكة السند لسلطان المسلمين ، وبدا أن الحملة تسير بخطى ثابتة نحو الفتح الكامل للسند. ورغم وفاة الحجاج بن يوسف المفاجأة ، والتى بلا شك ألقت بظلالها على الحملة بوصفه المحرك الأساسى لها ، ومن كبار الداعمين لقائدها الشاب محمد بن القاسم ، رغم ذلك واصل ابن القاسم جهوده فى فتح ما تبقى من السند ، حيث أرسل حملة ضد مملكة كيرج[٢] والتى كان يحكمها أحد أفراد عائلة داهر ويسمى (دوهر)، والتى كانت أيضاً معقل القراصنة الهنود واستطاع أن يخضعها لسلطانه ، وبذلك وصل بنفوذ المسلمين حتى حدود كشمير فى الشمال[٣]. وقد أكتفى الكوفي[٤] فى تأريخه لتلك

(١) محمد نصر ، الوجود العربى فى الهند ، ص١٦٧.

(٢) وكيرج هى الصفة المعربة لكيره ، وتقع الآن على بعد عشرين ميلاً إلى الغرب من أحمد أباد، وللمزيد من التفاصيل عنها انظر ، المسعودى ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ١٣٤٦، ج١ ، ص ١٦٩.

(٣) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٦١٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ، ص٢٨٦.

(٤) فتحنامه ، ص٢١٨.

الحملـة بـذكر أن محمـد بـن القاسـم وصـل إلـى الحـدود مـع كشـمير وقـام بتجديـد خـط الحدود الذي سبق وأقامه الملك چچ.

ويبـدو أن حملـة ابـن القاسـم علـى السـند والتـى اسـتغرقت قرابـة أربـع سـنوات ، امتدت مـن أواخـر عـام ٩٢هـ/٧١٠م حتـى عـام ٩٦هـ/٧١٤م ، وفـتح خلالهـا معظـم مملكة السند ووصل حتى الحدود الجنوبية لمملكة كشمير ، وكانت بلا شك من أنجح الحمـلات الإسـلامية. يبدو أن القدر قد وضـع نـهايـة مأسـاوية لتلك الحملـة وقائـدها ، حيـث لقـى قائـدها مصيراً غيـر متوقـع بعد كـل هـذا النجـاح ، ولـم تشـفع لـه كـل هـذه الانتصارات فى الفرار من مصيره المحتوم.

وقـد اختلفـت مصـادرنا فـى الحـديث عـن نـهايـة هـذا القائـد وحملتـه ، فـالكوفي[١] يذكر رواية ينفرد بها عن غيره أدت لمقتل ابن القاسم ، حيث يذكر أن ابن القاسم بعد أن أسر ابنتى الملك داهر أرسل بهمـا أسيرتين للخليفـة الوليد بن عبد الملـك فـى دمشق ، وقد انجذب الخليفة لإحدى البنتين وحاول التقرب منها فأبت وادعت أن ابن القاسم احتجزها عنده وأعتدى عليها ، وبالتالي فإنها لا تليق الآن بمقام الخليفة الذى استشـاط غضبـاً مـن سـلوك ابـن القاسـم وأرسـل يـأمر بوضـعه فـى صـندوق مـن الجلـد وإحضـاره إليـه علـى وجـه السـرعة ، وقـد قضـى القائـد الشـاب نحبـه أثنـاء الرحلـة مـن

(١) فتحنامه ، ص ٢١٩ – ٢٢٢

السند إلى دمشق. وبعد ذلك أنكرت ابنة داهر ما حدث واعترفت أنها ادعت ذلك انتقاماً لما فعله بأبيها ومملكته فاستشاط الخليفة غضباً وأمر بقتل الأختين.

على الجانب الأخر يذكرى البلاذري[١] وينقل عنه ابن الأثير[٢] رواية مختلفة تماما عن رواية الكوفى ، حيث ذكرا أن بعد وفاة الوليد وتولى سليمان بن عبد الملك قام بعزل ابن القاسم ، وولى مكانه يزيد بن أبى كبشة السكسكى[٣] على السند ، فقام بالقبض على ابن القاسم وأرسله إلى العراق ، وعندما وصل إبن القاسم إلى العراق وكان واليها يحقد على الحجاج لأنه قتل أخاه فقام بتعذيب ابن القاسم مع بعض أهله حتى قتلهم جميعاً. بينما يذكر اليعقوبى[٤] أن الذى قبض على ابن القاسم هو الوالى الذى جاء بعد يزيد السكسكى ويدعى حبيب بن المهلب[٥].

---

(١) فتوح البلدان ، ص٦١٨.

(٢) الكامل ، ج٤ ، ص٢٨٧.

(٣) هو يزيد بن أبى كبشة بن يسار بن حى ، وينتهى نسبه إلى معد يكرب بن عريف بن السكسك ، من أهل دمشق ، وتوفى فى خلافة سليمان بن عبد الملك ، انظر ، ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص٤٣٢.

(٤) تاريخه ، ج٢ ، ص٣٦٥.

(٥) هو حبيب بن المهلب بن أبى صفرة بن سراق بن صبح بن كندى بن عمرو بن وائل من الأزد. انظر ، ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص٣٦٩.

وتبدو رواية الكوفى غير مقنعة ، خاصة وأن الثابت تاريخياً أن الذى عزل ابن القاسم هو سليمان بن عبد الملك وليس الوليد. وتبدو هنا رواية البلاذري وباقى المؤرخين مقبولة إلى حد كبير ، فنظراً للخلاف القديم بين سليمان والحجاج ، ومرجع هذا الخلاف أن الوليد رغب فى عزل أخيه سليمان عن ولاية العهد وأيده الحجاج فى ذلك ، لذلك أسرها سليمان فى نفسه ولم يبدها إلا بعد وفاة الوليد ، لذا انتقم من رجال الحجاج وقام بعزل كافة رجاله[١]. ولم يكن ابن القاسم وحده ضحية هذا الخلاف ، فلم يكن مصير القائد قتيبة بن مسلم الذى كان يقود الفتوحات فى الصين أفضل منه ، وحتى موسى بن نصير فى الأندلس لم تكن معاملته أحسن حالاً ممن سبقوه ، وزاد الطين بلة أن حاكم العراق الجديد كان موتوراً من الحجاج ، لذلك لم يكتف بعزل بن القاسم بل قام بالقبض عليه وتعذيبه ، ثم قتله بعد ذلك عام ٩٦هـ/٧١٤م.

مما سبق يظهر لنا أن مقارنة روايات فتح السند التى وردت لدى الكوفي ولدى باقى المؤرخين كالبلاذري واليعقوبى وابن خياط وغيرهم ، توضح إلى مدى بعيد الثراء النصى الذى تميزت به روايات الكوفي التى كانت تزخر بالتفاصيل والأحداث وتسهب فيها على العكس من المصادر الأخرى ، مما كان يساهم فى كثير من الأحيان فى استجلاء غموض بعض الأحداث التى وردت فى هذه المصادر ، واستكمال جوانب النقص فيها.

---

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص ٤٩٩.

وكانت روايات الكوفي تتفق فى كثير من الأحيان مع روايات المصادر الأخرى فى طبيعة الأحداث ، لكن ذلك لم يمنع وجود بعض الاختلافات فى بعض هذه الاحداث والتفصيلات ، هذه الاختلافات التى أحياناً ما تكون صحتها متفقة مع ما جاء لدى الكوفى ، وأحياناً أخري كانت روايات ابن الكوفي يجانبها الصواب.

وبوجه عام فإن التفاصيل الدقيقة التى وردت لدى الكوفي ، صنعت فارقاً كبيراً فى تأريخ أحداث فتح السند خلال العصر الأموى ، خاصة فيما يتعلق بحملة محمد بن القاسم.

الفصل الثالث

منهج الكوفى فى كتاب فتحنامه ومصادره

أولاً : حياته وأعماله

ثانياً: مصادره

ثالثاً: منهجه التاريخى

صاحب كتابنا هو على بن حامد أبو بكر الكوفي ، الذى يبدو من أسلوبه فى الكتاب أنه كان أديباً ، ولا نعرف الكثير عن حياته أكثر مما ذكره هو عن نفسه فى مقدمة كتابه ، فلا نعلم تاريخ تواجده بالسند ، أو سبب هجرته إليها ، أو أي تفاصيل أخرى عن حياته السابقة لتأليف الكتاب ، باستثناء الكلمات البسيطة التى وصف بها حياته قبل أن يشرع فى وضع هذا الكتاب[١].

وقد ذكر أنه عاش الجزء الأكبر من حياته ، حياة كريمة فى موطنه الأول الذى لم يحدده ، وإن كان لقبه الكوفي يشير بوضوح إلى جذوره العراقية ؛ ثم وقعت له حادثة مؤلمة – لم يذكر تفاصيلها – تسببت فى قلب حياته رأساً على عقب ، وحولتها من رغد العيش إلى حياة قاسية صعبة ، أجبرته على ترك موطن سكناه ، فقرر الانتقال إلى منطقة (أوچه)[٢] بالسند ، ليعيش بقية حياته بها[٣].

---

(1) Ahmed, M., " The long Thirteenth Century of the Chachnama ", *The Indian Economic and Social History Review*, 49, 4 (2012), p.464.

(٢) هى مدينة كبيرة على نهر السند. عنها انظر: ابن بطوطة ، تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ج٣ ، تحقيق: عبد الهادي التازي ، الرباط ١٩٩٧ ، ص ٨٧.

(٣) الكوفي ، فتحنامه ، ص٣٠.

وفى بلاط حاكم السند وجنوب غرب البنجاب ، السلطان ناصر الدين قباجة ، (٦٠٢- ٦٢٥هـ / ١٢٠٥- ١٢٢٨م)[١]، وجد الرعاية من خلال وزيره عين الملك حسين الأشعرى[٢]، الذى أكرم وفادة الكوفى وقربه منه ، مما جعل الأخير يهدى إليه كتابه فيما بعد[٣].

ونحن نعلم أنه كان يعيش فى نفس بلاط هذا الحاكم اثنان من مشاهير أدباء هذا العصر وهما: العوفى[٤] صاحب كتاب لباب الألباب[٥]، والذى أهداه أيضاً لنفس

---

(١) كان قباجة قائداً تركياً ، ونائباً للسلطان شمس الدين التمش (٦٠٧- ٦٣٣هـ/١٢١٠-١٢٣٥م) على السند ، خلال فترة حكم سلاطين المماليك للهند (٦٠٢- ٦٨٦هـ/١٢٠٦-١٢٨٧م) ، ثم قام بالاستقلال بها عن حكم المماليك ، قبل أن يتمكن سلاطين هذه الأسرة من استرداد السند منه ، مما جعله يلقى بنفسه فى نهر السند ويلقى مصرعه. لمزيد عنه انظر: الجوزجانى ، طبقات ناصري ، كابل ١٣٤٢ ش ، ص١٧٠ ؛ فخر الدين الحسيني ، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ، ج١ ، الدكن ١٩٦٢ ، ص٤٠٥.

(٢) وكان يلقب بملك الوزراء ، ولمزيد عنه انظر: العوفي ، كتاب لباب الألباب ، ج٢ ، ليدن ١٩٠٣ ، ص١.

(٣) الكوفي ، فتحنامه ، ص٣٣.

(٤) هو سديد الدين محمد بن محمد عوفي البخاري. للمزيد عنه انظر: إدوارد براون ، تاريخ الأدب في إيران ، ج١ ، ت. أحمد كمال الدين حلمي ، القاهرة ٢٠٠٥ ، ص١٠٦.

(٥) العوفي ، المصدر السابق.

الوزير عام ٦٣٥هـ/ ١٢٢٨م ، وكذلك الجوزجانى (١١٩٣-١٢٦٥)[١]، صاحب كتاب طبقات ناصرى ، لكن الاثنان كانا يرتبطان رسميا بالبلاط على العكس من الكوفى، الذى لم يكن يرتبط رسمياً به[٢].

وعندما بلغ الكوفى الثامنة والخمسين من عمره قرر التفرغ من أعباء الحياة ، ومحاولة القيام بعمل يكون ذا قيمة ، وقد بهرته الأعمال التاريخية التى كُرست لتسجيل الفتوحات الإسلامية فى أنحاء العالم ، ولما كان أساس استقراره وقتها فى السند ، فقد هداه تفكيره لمحاولة تأليف عمل تاريخي يسجل بداية تاريخ فتوحات المسلمين لهذه المنطقة ، والتى ارتبطت بحملة محمد بن القاسم على السند ، والتى نجحت فى فتح السند ونشر الإسلام بها ، وكانت أساس الوجود الإسلامى فى الهند بعدها. وعندما علم بوجود بعض من سلالة هذا الفاتح الذين ينتمون لقبيلة ثقيف[٣] فى مدينة الرور ، قرر التوجه الى هناك عله يجد لديهم ما يعينه على القيام

(١) هو: أبو عمرو عثمان بن محمد بن عثمان الجوزجاني ، منهاج الدين بن سراج الدين الدهلوي صاحب " طبقات ناصري " ، وكان عالماً بارعاً في الفقه و الأصول والسير والتاريخ والشعر، وفيه من حسن الخلق والتواضع وكرم السجايا ومعرفة حقائق القضايا ما هو غاية ونهاية. راجع : الحسيني ، نزهة الخواطر ، ج١ ، ص٣٠٩.

(2) Ahmed, The long Thirteenth Century, p.464.

(٣) هم بني قَسي بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن قيس عيلان بن مضر. ولمزيد عنهم انظر: ابن حزم الأندلسي ، جمهرة أنساب العرب ، ج١ ، ص٤٦٨.

بمشروعه ، وهناك التقى بقاضى المدينة ، ويدعى اسماعيل بن على بن محمد بنى موسى الثقفى ، الذى أخبره بوجود كتاب باللغة العربية عن تاريخ هذا الفتح ، سجلته هذا الأسرة وهو محفوظ لديهم[١].

وقد قرر الكوفى نشر هذا الكتاب ؛ عن طريق ترجمته إلى اللغة الفارسية ، التى كانت هى اللغة السائدة فى السند فى عصره ، حتى يكون متاحاً لكل الناس ممن لا يعرفون العربية. وقد أقر الكوفي أنه قام بذلك ؛ رداً لجميل الوزير عين الملك الأشعرى ، على اعتبار أن من قام بهذا الفتح هم العرب ، الذين تعود إليهم جذور أسرة الوزير ، حيث كان جده واحداً من أهم قادة الفتوحات الإسلامية ، الذين كان لهم السبق فى التفكير فى فتح السند ، وهو أبو موسى الأشعرى[٢].

وقد أعطى الكوفى لكتابه عدة أسماء ، فقد ذكر فى فاتحة الكتاب أن اسمه (تاريخ الهند ومقرر فتح السند)[٣]، كما أشار إلى أن الأصل العربى الذي يقوم بترجمته اسمه (فتحنامه)[٤]، ثم عاد وذكر فى نهاية كتابه أنه سمى الكتاب (منهاج الدين

---

(١) الكوفي ، فتحنامه ، ص٣١.

(٢) المصدر نفسه ، ص٣٣.

(٣) المصدر نفسه ، ص٣٠.

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٣.

والملك الحضرة الصدر الأجل عين الملك) تكريماً للوزير عين الملك[1]. وقد اشتهر الكتاب بعد ذلك بعدة أسماء مثل (منهاج المسالك) و(چچ نامه)[2]. وقد يبدو غريبا أن يشتهر الكتاب بالاسم الاخير ، وهو كما يبدو مرتبط بالملك چچ الذى تحتل حكايته مقدمة الكتاب فقط ، ومن ثم لم يكن من المنطقى أن يشتهر الكتاب بهذا الاسم فقط رغم انه لا يشغل حيزاً كبيراً من الكتاب[3]. والنص الذى تقوم عليه الدراسة يستند على النسخة التى اختار محققها (نبى بلوش) أن يعطيها مسمى فتحنامه ، على أساس انه اسم العمل الأصلى الذى ترجمه الكوفى.

ومن الصعب علينا معرفة من هو صاحب النص العربى الذى ترجمه الكوفى ، لأن الأخير لم يشر إليه صراحة ، بل اكتفى بذكر اسمه الكتاب فقط ، وهو (فتحنامه)، واكتفى بالإشارة فقط إلى أن مؤلفه هو من أجداد القاضى إسماعيل الثقفى ، الذى قابله فى مدينة الرور وذكر له ذلك. ولكن يمكننا أن نلاحظ فى الكتاب فى الحديث عن فتح مدينة الرور على يد محمد بن القاسم ، أنه قام بتعيين قاضٍ عليها اسمه (موسى بن يعقوب بن طائى بن محمد بن شيبان الثقفى)[4]، وبقليل من التدقيق فى

---

(١) الكوفي ، فتحنامه ، ص٢٢٢.

(٢) الهروى ، طبقات أكبرى ، ت. أحمد عبد القادر الشاذلي ، ج٣ ، القاهرة ١٩٩٥ ، ص٣٢٣.

(3)Mirza Kalichbeg Fredunbeg, The Chachnamah - An Ancient History of Sind, Maryland 2004, p.176.

(٤) الكوفي ، المصدر السابق ، ص٢١١-٢١٢.

نسب هذا القاضى ، ونسب القاضى الذى قابله الكوفى ومنحه العمل العربي الأصلي سنكتشف ببساطة أن القاضى الأول هو أحد أجداد القاضى الأخير ، وكان معاصراً لوقائع الفتح وأحداثه مما قد يشير إلى احتمالية أن يكون هو مؤلف العمل العربي الأصلي أو على الأقل ساهم فى إخراجه إلى النور.

والواقع أن عدم حرص الكوفى على ذكر اسم صاحب المؤلف الاصلى أو معلومات عنه ؛ تدفعنا لأن نقول إنه لم يترجم العمل العربي حرفياً إلى الفارسية ، بل كان جزءاً من كتاب الكوفى ليس إلا ، يؤكد ذلك انه نسب الكتاب لنفسه فى بداية مؤلفه[1]. والكتاب كما سوف نراه عند تحليلنا لمنهجه به اضافات كثيرة على النص الأصلى سواء فى المعلومات التاريخية ، أو فى أسلوب الكوفى نفسه ، بما يوحى أن الكوفى أراد أن ينسب الكتاب له بأكمله ، لا أن يكون مجرد مترجم للكتاب ، خاصة أنه – كما وضح فى مقدمة كتابه – كان يطمح لأن يسجل نفسه ضمن أصحاب المؤلفات التاريخية العظيمة ، التى سجلت الفتوحات الإسلامية ، وعليه فقد حرص أن يضفى أسلوبه ، وكثير من الإضافات الأخرى التى تساعده فى هذا الاتجاه.

وترجع أهمية كتاب فتحنامه إلى أنه يحتوي على الرواية الأكثر تفصيلاً عن الفتح العربى للسند والتى لا تتوفر لأى عمل تاريخى معروف آخر ، حيث يشتمل

---

(١) الكوفي ، فتحنامه ، ص٣٠.

بشكل رئيسى على الروايات المستمدة من أعمال المؤرخ المدائنى المفقودة ، ورغم أن هناك من اعتمد على هذه الروايات أيضاً مثل البلاذرى ، إلا أنه اختصرها للحد الأدنى من المعلومات الجوهرية ، أما فى هذا الكتاب فقد تم الحفاظ على أكثر الروايات تفصيلاً فى وصف حملة محمد بن القاسم عموماً ، وعلى روايات شهود العيان فى المعارك المختلفة خصوصاً ، ووفقاً لذلك أصبح هذا الكتاب مستودعاً لأهم سجل تاريخى فى مجال التاريخ الإسلامى فى السند[1].

وقد اعتمد على هذا الكتاب ونقل عنه ، العديد من المؤرخين اللاحقين مثل: الهروى صاحب كتاب طبقات أكبرى (١٠٠٢هـ/١٥٩٣-١٥٩٤م) ، فخلال حديثه عن طبقات سلاطين السند نجده يقول : " ورد فى تاريخ منهاج المسالك المشهور بججن امه أنه عندما وصلت نوبة الخلافة إلى الوليد بن عبد الملك بن مروان ، أرسل الحجاج بن يوسف محمد بن هارون إلى الهندوستان فدخل ولاية مكران فى أوائل سنة ٨٦هـ ، وشرع فى تحصيل أموال الديوان."[2]. كذلك اعتمد عليه فرشته فى كتابه تاريخ فرشته (١٠١٥هـ/١٦٠٦-١٦٠٧م)[3]، وغيرهم من المؤرخين.

---

(١) بلوش ، فتحنامه ، المقدمة ، ص٢٢.

(٢) الهروى ، طبقات أكبرى ، ج٣ ، ص٣٢٣.

(٣) فرشته ، تاريخ فرشته ، بومباى ١٩٠٠.

ثانياً: مصادره:

عند الإشارة للمصادر التي اعتمد عليها الكوفي فى كتابه فتحنامه ، نجد أن الجزء الأول من الكتاب – والذي يتناول الأحداث التى سبقت حملة ابن القاسم – مختلف عن باقى أجزاء الكتاب الأخرى ، حيث يُروى بلا أى اسناد ، حتى وإن كان غير مباشر ، على العكس من باقى الكتاب ، الذي تنوعت مصادر الاسناد فيه ، مما يدل على أن الجزء الاول منقول من كتاب مختلف عن باقى أجزاء الكتاب. وكما سبق وأن ذكر الباحث ، فهو إضافة من الكوفي على النص الأصلى ، نقله – على الأرجح – من كتب تاريخ محلية ، وبعض القصص الشعبية وغيرها من المصادر التي سوف نذكرها لاحقاً.

أما الجزء الخاص بحملة محمد بن القاسم ، وهو صلب النص الأصلى ، فقد أعتمد فيه المؤلف – بشكل كبير– على الأعمال التاريخية المكتوبة ، بجانب مصادر أخرى ، وكان فى بعض الأحيان يذكر اسم المؤرخين الذين اعتمد عليهم فى روايته ، وفى أحيان أخرى يكتفى بإشارة عامة مثل: (يذكر المؤرخون)[١]، أو (يذكر رواة الأخبار)[٢]. ومن المؤرخين الذين اعتمد عليهم المؤلف بشكل كبير ، وذكر أنه رجع

(١) انظر على سبيل المثال: ص١٠٥.

(٢) انظر على سبيل المثال: ص٨٣.

إليه ، المدائني (ت.٢٢٥هـ/٨٣٩م)[١]، الذى رجع إليه فى (٢٣) رواية مما ذكرهم فى كتابه ، حتى أن بعض الباحثين اعتبر أن فتحنامه ليس سوى عمل من أعمال المدائنى[٢]. ونحن نعرف أن المدائنى كان مؤرخاً لا منازع له فى تاريخ الفتوحات الأولى من عهد الخلافة فى المنطقة الشرقية منها ، والتى ألف عنها ما لا يقل عن ١١ كتاباً ، منها ثلاثة كتب عن الأقل عن فتح الهند وثغورها مثل : كتاب فتح مكران، كتاب ثغر الهند ، كتاب عمال الهند[٣]. لكن ذلك لا يعنى أن فتحنامه فى أصله هو من أعمال المدائنى ، فقد حرص مؤلف العمل على الإشارة للمواضع التى اعتمد فيها على المدائنى ، كما أن الجزء الأول من الكتاب ، والذي يعالج الفترة التى سبقت وصول حملة ابن القاسم للهند ، يبدو فى طبيعته مختلفاً تماماً عن الكتابات التاريخية الإسلامية عامة ، وعن ما نُقل عن المدائني فى المصادر الأخرى خاصة.

---

(١) هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله ، ولد بالبصرة عام ١٣٢هـ/ وعاش بها ، وضع عديد من الكتب فى شتى الموضوعات التاريخية ، ووصف بأنه كان علماً فى معرفة السير والمغازي ، والأنساب ، وأيام العرب. ولمزيد عنه انظر: الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١٢ ، تحقيق: بشار عواد ، بيروت ٢٠٠١ ، ص٥٥.

(٢) انظر على سبيل المثال:

Baloch, N., " Fatehnama and its Sources ", *Proceeding of Pakistan Historical Conference*, (1955), pp.79 – 82; Jehangir, J., The Arabs in Sind , 712-1026 A.D., Ph.D, diss., (University of Utah) 1973, p.9.

(٣) ابن النديم ، الفهرست ، ص١٤٤ – ١٥٠ .

ومـن المـؤرخين الآخـرين الـذين اعتمـد علـيهم كتـاب فتحنامــه ، الهُـذلي (ت.١٦٧هـ/٨٧٣م)[١]، وقد نقل عنـه (٣) مـرات ، إمـا بشكل مباشر[٢]، أو نقـلاً عـن آخرين خاصة المدائني[٣].

ومن المصادر الأخرى التي اعتمد عليها ، يسار القرشي[٤]، وهو ليس مؤرخاً وإنمـا فقيـه محـدث ، ورجـع إليـه مـرة واحـدة ، ربمـا لأنـه جاء بالروايـة أمـر يتعلـق بالرسـول – صلى الله عليـه وسلم – فـي حديثـه عن أحـد محـاولات فـتح السند قبـل العصر الأموي[٥].

---

(١) واسمه سُلمى بن عبد الله بن سُلمى ، كان فقيهاً ، ومن أئمة الرواة البصريين ، وكان مرجعاً فى فتوحات المشرق ، وكان المدائنى من تلاميذه. راجع: ابن حزم الأندلسي ، جمهرة أنساب العرب ، ج١ ، ص١٩٨.

(٢) الكوفي ، فتحنامه ، ص ٨٧.

(٣) المصدر نفسه ، ص ٨٨ ، ٩٠.

(٤) هو أبُو بكر بن إسحاق بن يسار القرشي المطلبي المدني ، فقيه محدث ، ولمزيد عنه انظر: الحافظ المزي ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، ج٣٣ ، تحقيق: بشار عواد ، بيروت ١٩٨٣ ، ص٨٢–٨٥.

(٥) المصدر نفسه ، ص ٩١.

ومن المصادر التى اعتمد عليها كتاب فتحنامه بعض المصادر الهندية ، ولكن فى نطاق محدود ، وكانت غالباً تتعلق بما يحدث داخل صفوف الجيش الهندي. وقد رجع إليها عدة مرات ، وكان أحياناً يذكر اسم من نقل عنه صراحة ، وكانت مرة واحدة حين ذكر أن من نقل عنه يدعى (رام سيه)[١]، وفى أحياناً أخرى كان يكتفى بإشارة عامة لمن ينقل عنه مثل قوله: (حكماء الهند ومؤرخوها)[٢]، (مشايخ البراهمة)[٣].

ومن مصادره الأخرى شهود العيان ، حيث اعتمد على عدد من الشهادات الشفوية المتناقلة عن راو ثان ، أو ثالث ، أو رابع ، من أولئك الذين شهدوا بعض الأحداث التي يؤرخ لها. وكان أغلبهم من العرب المصاحبين لحملة محمد بن القاسم[٤] غير أنه فى بعض الأحيان كان يعتمد على شهود عيان من الهنود[٥].

ومن المصادر الأخرى التي اعتمد عليها كتاب فتحنامه ، مجموعة المراسلات بين الحجاج بين يوسف الثقفي وقائده محمد بن القاسم ، فقد كان الحجاج حريصاً على أن يكون على اتصال دائم بالحملة عن طريق البريد ، وحرص على أن يكون

---

(١) الكوفي ، فتحنامه ، ص ١٦٧.

(٢) المصدر نفسه ، ص١٣٩.

(٣) المصدر نفسه ، ص١٨١.

(٤) انظر على سبيل المثال: ص ١٣٦ ، ١٧٦ ، ١٧٧.

(٥) الكوفي ، فتحنامه ، ص ١٧٢ ، ١٨١ ، ٢١٢.

منتظماً ، حتى أن الرسالة كانت تصل بين الطرفين في ثلاثة أيام فقط[1]. وقد وردت تلك المراسلات عند الكوفي بشكل دقيق ، يوحى بأن كاتب النص الأصلي أطلع على أصول هذه المكاتبات ، والتي كانت بحوزة محمد بن القاسم ، ثم انتقلت للقاضى (موسى بن يعقوب الثقفى) ، الذي عينه ابن القاسم قاض على مدينة الرور. وترجع أهمية هذه الرسائل ؛ إلى أنها تمثل سجلاً حياً للعلاقة بين السلطة المركزية فى ولايات الفتح ، والحملات المنطلقة من تلك الولايات خلال العصر الأموى ، كما تعد تسجيلاً نادراً لوقائع حملة محمد بن القاسم على الهند ، ودور الحجاج الحيوى فيها. ويبلغ عدد هذه الرسائل (١٤) رسالة متبادلة بين الطرفين ، ويبدو أنها لم تكن كل الرسائل التى تبادلها الطرفان ، فمن خلال سياق بعض الرسائل نجد أن بعضها كان جواباً لرسالة سابقها لم ترد فى كتاب فتحنامه ، ربما لضياع أصلها ، أو ربما حذفها الكوفي. وسوف يكتفى الباحث هنا بثلاث نماذج من هذه الرسائل.

ومن هذه الرسائل ، الرسالة التى بعث بها الحجاج لابن القاسم بعد أن فتح ميناء ديبل ، وجاء فيها:

لتعلم أن كل جهدنا وهمتنا وإنفاقنا هو أن نوصلك إلى النصر والظفر ، لتكون منصوراً مظفراً ، وسوف ينال الأعداء عقابهم العاجل وعذابهم الآجل بعون الله تعالى. يجب أن تكون واثقاً بأن كل تلك الأفيال والغنائم والمتاع والمال ستكون لك يوماً ما ،

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٦١٤.

لذا عليك أن تعيش حياة حسنة مع أصحابك ، وتسعى لاحترام كل واحد منهم وتقوى قلوبهم بان تلك الولاية ستكون ملكك ، وعليك أن توزع جميع الأموال والغنائم التى تحصل عليها فى سبيل الهيبة ، وتصرفها على الجيش ، ولا تمنع ما يجب بذله فى سبيل المأكل والمشرب ، واسع بكل جهدك لتامين اليسر والحاجات ، وأن تضع جميع ما فى الديبل فى خدمة جيشك ، والأهم من ذلك أن تنفق ما وجدته فى حصن الديبل من الذخائر فى سبيل ترفيه الرعية واستمالة قلوب السكان ، وإذا أصبح الصناع والزراع والتجار مرتاحين ومرفهين ، فإن الولاية ستكون مزروعة ومعمورة إن شاء الله تعالى[١].

وكما يبدو هنا ؛ تحمل رسالة الحجاج لقائده الشاب بعض النصائح الخاصة بالغنائم التى حازها بعد فتح المدينة ، وترسم له أوجه إنفاقها ، وتوصيه بحسن التعامل مع جنده. وتفصح تلك الرسالة عن عقلية الحجاج العملية ، وخبرته الواسعة وحسن تقديره للأمور ، وكذلك حرصه على متابعة أمور الحملة الإسلامية ، إذ تظهر الرسالة معرفته بفتح ديبل وما غنمه المسلمون هناك.

والرسالة الثانية تحمل رد ابن القاسم على الحجاج ، ومما جاء فيها:

---

(١) الكوفى ، فتحنامه ، ص ١١٦ .

... ولما وصلت رسالة الأمير الحجاج التى ذكر فيها ضرورة الرجوع إلى نيرون رجعنا فعلاً إلى حصن نيرون ، وهذا الحصن أقرب إلى دار الخلافة ، ومن المنتظر بعون الله تعالى ورعاية الخلافة ، وبحسن طالع الأمير المعظم ، فإن الحصون الحصينة سيتم فتحها إن شاء الله ، وسيتم ضبط المدن والخزائن والسيطرة عليها بإذن الله. كما أنه تم فى الوقت الحاضر استسلام سيوستان وسيويس وفر ابن عم داهر وأعيانهما ، واسلم جميع الكفار والمعاندين وأقيمت المساجد مكان معابد الأصنام والكفر ، وبنيت المنابر لإلقاء الخطب وإقامة الأذان والصلاة فى مواقيتها ، وحتى يذكر فيها اسم الله عز وجل مع التكبير والتذكير كما نص عليه القرآن المجيد ، وتم إزالة آثار تلك الأوثان والأصنام بعون الله ونصرته وثقته فى قوله تعالى " إن ينصركم الله فلا غالب لكم " وخذل عبادها وشيطانيها وأحزابها وذهبوا إلى دار الجحيم وآلوا إلى عذاب شديد وبئس المصير... [١]

ويبدو من نص الرسالة أنها لم تكن رداً على الرسالة الأولى ، وإنما رداً على رسالة تالية من الحجاج لم يورد الكوفى نصها ، ويستفتح ابن القاسم الرسالة بأخبار فتوحاته فى السند ، وأنه قام ببناء المساجد هناك ، كما يخبر الحجاج أنه استجاب لنصيحته بالتحصن فى نيرون ، وأنه يقف على ضفاف نهر السند ، فى انتظار أوامره من أجل التحرك من جديد.

---

(١) الكوفى ، فتحنامه ، ص ١٢٥-١٢٦.

وتكمل تلك الرسالة الصورة التى أوضحناها عن الطابع المركزى للحجاج فى إدارة تلك الحملة ، ويظهر ذلك فى حرص ابن القاسم على تقديم تقرير مفصل للحجاج بتحركاته ، والتزامه الصارم بتعليماته الحربية ، وعدم أقدامه على القيام بخطوة خطيرة مثل عبور نهر السند ، دون أخذ الضوء الأحمر من الحجاج.

والرسالة الثالثة تحمل رداً من الحجاج على ابن القاسم ، ومما جاء فيها:

أما بالنسبة لعبور مهران فلا تجبر أحداً على ذلك ، وقل لهم بالحسنى: إننا قطعنا هذه المسافات من أحل الوصول إلى الأعداء ونشر راية الإسلام ، وعلينا أن نعبر النهر مهما بذلنا من جهد وتضحيات ، وعلينا أن نقاتل الأعداء على أرض ثابتة رجلاً لرجل وفارس لفارس ، وعلى هذه الطريقة توكل على الله تعالى فى قتالك إياهم وتمسك بيدك بالعروة الوثقى حتى ينكشف قضاء الله وقدره من خلف الستر ، ويتم تنفيذ الأمر الربانى. أما إذا خيرك الأعداء بين أن يعبروا هم النهر ، أو تكونوا أنتم العابرون فلا تعطهم الفرصة ، وقل لهم بكل حزم : إننا سنكون نحن العابرون لتلقى فى قلوبهم الرعب والخوف وليعلموا أن الإسلام لو لم يكن بتلك القدرة الهائلة والإيمان العميق لما جاء إلى بلادهم يقاتلهم بها وعلى جيشك وأصحابك أن يتوكلوا على الله ، وأن يثبتوا أقدامهم ويشدوا عزمهم فى القتال لنيل رضا الله تعالى[1].

---

(١) الكوفى ، فتحنامه ، ص١٢٧-١٢٨.

ونرى فى هذه الرسالة الحجاج يستحث ابن القاسم على التحلى بالقوة والشجاعة ، كما يعطيه بعض الشروط التى يجب توافرها فى الرسول الذى سيرسله لمقابلة راجا داهر ، حتى يمكنه أن يكون خير سفير للمسلمين ، ويختم الرسالة ببعض التوجيهات الخاصة بعبور نهر السند ، إذ طلب منه أن يكون البادئ بالعبور حتى يلقى الرعب فى قلوب أعدائه ، وأن يختار المكان المناسب للعبور ، وأن يرسل مشاته أولاً. وتشير تلك الرسالة إلى عبقرية الحجاج السياسية والحربية ، كما تؤكد على أن الدور الذى لعبه خلال حملة ابن القاسم لم يكن دوراً ثانوياً ، بل كان هو المحرك الأول لتفاصيل تلك الحملة ، ولاشك أن مرجع هذا الاهتمام البالغ من الحجاج هو إنجاز مشروعه التوسعى فى المشرق ، بجانب حداثة سن قائده الشاب محمد بن القاسم.

كما كان للتراث الشعبي الهندي نصيبه عند الكوفي ، حيث اعتمد في بعض الأحيان عليه كمصدر لرواياته ، وكان يطلق عليه (الأحاديث الشعبية) ، وكانت الروايات المستمدة منها في الغالب تتعلق بالشخصيات الهندية المذكورة في الكتاب ، ومن ذلك على سبيل المثال: قصة تزعم زوجة داهر (لادي) للمقاومة ضد المسلمين في حصن برهمناباد[1].

---

(١) الكوفى ، فتحنامه ، ص١٨٨.

ثالثاً : منهجه

ظهرت ملامح منهج الكوفي في مقدمة كتابه ، عند اهدائه للوزير عين الملك، حيث أشار إلى أن الكتاب سوف يكون: " متضمناً نصائح الدين والدولة ، ومتكفلاً بمناهج الملك والملة ..."[١]. وعلى هذا الأساس ، حرص على أن يتضمن كتابه كثيراً من النصائح والقواعد التى يجب على الحاكم إتباعها ، والكوفي هنا يبدو متأثراً بكتب الآداب السلطانية ؛ مثل: كتاب نصيحة الملوك[٢] ، للماوردي(ت.٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)[٣]، والتبر المسبوك في نصيحة الملوك[٤] ، للغزالي(ت.٥٠٥هـ/١١١١م)[٥]، وغيرها من

---

(١) الكوفى ، فتحنامه ، ص٢٢٣.

(٢) الماوردى ، نصيحة الملوك ، تحقيق: خضر محمد خضر ، الكويت ١٩٨٣.

(٣) هو أبو الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردى ، ولد فى البصرة سنة ٣٦٤هـ/٩٧٤م ، فى أسرة عربية عرفت ببيع ماء الرورد ، ومنها عرف بالماوردى. انظر: ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٢ ، ص٤٤٤ ؛ ياقوت الحموى ، معجم الأدباء ، ج١٥ ، ص٥٢.

(٤) الغزالى ، التبر المسبوك فى نصيحة الملوك ، بيروت ١٩٨٨.

(٥) هو زين الدين حامد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسى الشافعى الغزالى ، ولد بطوس سنة ٤٥٠هـ/ ١٠٨٥، وهو أحدد مجددى القرن الخامس الهجري، وأحد أهم أعلام عصره وأحد أشهر علماء الدين السنة في التاريخ الإسلامي. انظر: ابن أيبك الصفدى ، الوافى بالوفيات ، ج١ ، بيروت ١٩٧٠، ص٢٧٤-٢٧٧ ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج٤ ، ص١٠-١٣.

الأدبيات التاريخية. وتقوم أغلب تلك الكتابات في أساسها على مبدأ نصيحة أولي الأمر في تسيير شؤون سلطتهم، إذ تتضمن كل موادها مجموعة هائلة من النصائح الأخلاقية والقواعد السلوكية الواجب على الحاكم إتباعها.

وظهر ذلك على سبيل المثال ، فى الرسالة التى أرسلها الحجاج إلى محمد بن القاسم ، حيث يقول فيها: " واعلم أن الرئاسة تحتاج إلى أربع أمور ، الأول: المداراة والمسامحة والمواساة ، والثانى: بذل المال والعطاء ، والثالث: الرأى الصواب فى معارضة الخصوم ، ومعرفة مزاج الأعداء ، والرابع: الرعب والمهابة والشهامة والقوة والشوكة ، وبهذه المزايا يمكنك الهيمنة على قلوب الأحباب والأعداء ، وإذا طلب الملوك منك سماحاً فأعطهم ذلك مع كتابة المواثيق المطلوبة .

وإذا أردت أن تبعث أحداً برسالة فلا بد أن يكون ذا عقل ودين وكياسة ، وأمانة وثقة حتى لا يلحق بالإسلام ضرر من كلامه و تصرفاته ، وعيك أن تحمى الأنصار والأصحاب من غوائل الحيلة والغدر والمكر الذى يمارسه الأعداء ، كما عليك الالتزام بشرائط الحزم واليقظة فى تدبير الإمدادات ، وأن تحترز من داهر كثيراً.

وإذا أرسلت أحد اتباعك ، فانصحه أن لا يخالطه وأن لا يأتمن مجلسه ، وانصحه مراراً وتكراراً ، وألزمه أن لا يقرأ الرسالة بمفرده مع داهر ، بل يجب أن يكون

ذلك فى حضور الأعيان والأشراف وعلية القوم ، وعليه أن يستمع إلى جوابه بكل دقة وصفاء ذهن ، وان لا يرغب فى شىء أو يداهن أحداً[١].

ويبدو هنا بوضوح ، أن الكوفي أقحم الكثير من النصائح التى أراد أن يتضمنها كتابه فى هذه الرسالة ، وهو نمط كرره كثيراً ، حيث يقحم مثل هذه النصائح ، والقواعد السلوكية فى سياق الأحداث ، حتى تحقق الغرض الذي أراده منها.

أما عن أسلوب الكوفي ، فكما ذكر الباحث ، فإنه لم يكن ينتهج أسلوباً واحداً فيما يخص إسناده لرواياته التاريخية ، فعلى حين يكاد الجزء الأول من كتابه – والذي يسرد الفترة السابقة لحملة محمد بن القاسم – يكاد يفتقد للإسناد التاريخي ، ويعتمد على رواية واحدة متصلة نقلاً عن مصدر مجهول لم يصرح به ، وهو على الأغلب مصدر محلي قديم. نرى الجزء الثاني منه يحفل بالإسناد لأغلب رواياته ، حيث يحرص الكوفي على ذكر مصادره ، سواء كانت مصادر تاريخية ، أو روايات شفهية ، أو مصادر أخرى ، وربما ساعده فى ذلك أنها وردت فى المصدر العربي الأصلي الذي تعهد بترجمته للفارسية ، كما ذكر فى مقدمة كتابه.

ورغم حرصه على ذكر العديد من الروايات التاريخية ، إلا أنه يوردها دون أن يبدى رأيه فيها أو ينقدها – باستثناء حالة واحدة ، حين كان يروى قصة أسر السفن

(١) الكوفى ، فتحنامه ، ص١٢٥.

الإسلامية التى أرسلها حاكم سيلان للحجاج ، حيث أبدى تشككه فيها ، حين بدأ الرواية بقوله: يقال[1] – برغم أنها فى بعض الأحيان تتعارض مع الروايات التى أوردتها مصادر أخرى خاصة ببعض الأحداث ، كما أنها تحفل ببعض الأخطاء التاريخية ، ولعل ذلك مرجعه إلى أن الكوفي لم يكن مؤرخاً بقدر ما كان أديباً ، فأفسح المجال فى كتابه للأدب والصنعة الأدبية على حساب الدقة التاريخية.

كما غلب على أسلوب الكوفي فى كثير من الأحيان الجانب القصصي ، حيث أورد الكثير من القصص والحكايات فى ثنايا كتابه ، مثل قصة (چچ وسينينهو) ، وقصة (جنكى وجيسيه). ويبدو هنا أنه كان متأثراً فى نمطه القصصي بالترجمة الفارسية لقصص كليلة ودمنة لابن المقفع ، وهو كتاب هندي الأصل يتناول حكايات فلسفية وأخلاقية ، ويهدف إلى النصح الخلقي والإصلاح الاجتماعي والتوجيه السياسي ، حيث كانت الهند الوطن الذى ازدهرت فيه قصص الموعظة على لسان الحيوان ، حيث انتشر القصص الحيوانى الوعظى فى تعاليم بوذا وغيره ، وكان الهدف من هذه الحكايات تعليم الأمراء وتأديبهم[2]. وكان الفرس هم أول من ترجموه للفارسية، ثم تولى عبد الله بن المقفع نقله للعربية خلال العصر العباسى[3].

---

(١) الكوفى ، فتحنامه ، ص٩٦.

(٢) اليعقوبى ، تاريخ اليعقوبى ، ج١ ، ص ٩٨

(٣) المسعودى ، مروج الذهب ، ج١ ، ص ١٦١ ؛ ابن النديم ، الفهرست ، ص ٤١٣

وقد غلبت النزعة الأدبية على كثير من مواضع الكتاب ، ربما بحكم كون المؤلف أديب أكثر منه مؤرخاً. وظهر ذلك فى كثرة استشهاده بالأبيات الشعرية ، سواء من نظمه ، أو من أشعار الآخرين. ومن ذلك ما أورده من أبيات شعرية تتعلق بمصير والي مكران من قِبل الحجاج بن يوسف الثقفي ، حيث قال:

سقى الله قبراً من سعيد تضمنت   نواحيه أكفاناً عليك ثيابها

وحفرة بيت أنت فيها موسد   وقد سد من دون العوائد بابها

لقد ضمنت أرضٌ بمكران سيداً   كريماً اذا الأنواء خف سحابها[١]

وهى أبيات شهيرة للفرزدق (ت.١١٠/٧٢٨م)[٢]، أوردها فى ديوانه[٣]، مع وجود بعض الاختلافات الطفيفة. كما ذكر المؤلف بيتين للشاعر حكيم بن جبلة العبدي[٤] في مدح علي بن أبي طالب حينما قدم الى البصرة فقال:

---

(١) الكوفى ، فتحنامه ، ص٩٨.

(٢) هو شاعر من شعراء العصر الأموي ، واسمه همام بن غالب بن صعصعة الدارمي التميمي ، وكنيته ابو فراس ، وسمي الفرزدق لضخامة وتجهم وجهه ، ومعناها الرغيف. ولمزيد عنه انظر: الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٤ ، ٥٩٠.

(٣) ديوان الفرزدق ، دار صادر ، بيروت (ب.ت) ، ج١ ، ص٨٩.

(٤) هو حكيم بن جبلة بن حصن بن أسود بن كعب العبدي من بني عبد القيس ، أحد صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أسلم على يديه ، ثم هاجر إلى البصرة مع قومه في عهد عمر بن الخطاب. لمزيد عنه انظر: ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٢ ، ص٤٠.

ليس الرزية بالدينار تفقده ان الرزية فقد العلم والحكم

وإن أشرف من أودى الزمان به أهل العفاف وأهل الجود والكرم[١]

وقد انفرد الكوفي بذكر هذين البيتين ، فلما يردا على لسان حكيم فى أى مصدر آخر ، والذكر الوحيد لهما ورد عند الجاحظ ، ولكن بشكل مختلف ، وعلى لسان أم جبلة نفسه ، حين قتل هو وأخيه (رعل) ، حيث قالت:

ليس الرزية بالتنبال تفقده بل الرزية مثل الرعل والحكم[٢]

وقد بدا تأثر الكوفي بثقافته الإسلامية فى كثير من المواضع فى كتابه ، حيث كان يورد أحياناً بعض الروايات التى تشابه فى بعض تفاصيلها بعض قصص الأنبياء، أو أبطال الفتح الإسلامي ، بل وأحياناً يستخدم بعض الألفاظ الإسلامية فى بعض المواضع التى لا تستقيم فيها هذه الألفاظ. ومن ذلك عند حديثه عن عبور محمد بن القاسم نهر مهران ، حيث يذكر أن المنادي نادى في جيشه: (أيها المقاتلون المسلمون إن مياه نهر مهران من خلفكم ، والأعداء من أمامكم ، ومن ضعف قلبه وخوت عزيمته فالطريق مفتوحة أمامه للرجوع ...)[٣].

---

(١) الكوفى ، فتحنامه ، ص٨٥.

(٢) الجاحظ ، كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان ، ج٥ ، تحقيق: عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت (ب.ت) ، ص٤٦.

(٣) الكوفى ، فتحنامه ، ص١٥٢.

ويبدو هنا بوضوح تأثر المؤلف بقصة الفاتح الإسلامي الكبير طارق بن زياد ، الذي عبر من بلاد المغرب المضيق – الذي حمل اسمه بعد ذلك – نحو الأندلس ، ثم وقف فى جيشه على ساحل البحر ، وخطب فيهم خطبته المشهورة التي قال فيها: " أيها الناس. أين المفر؟ البحر من ورائكم ، والعدو أمامكم ، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر..."[١].

كما ظهر تأثره بالقصص الديني فى موضعين ، الأول: عند حديثه عما فعله محمد بن القاسم حين فتح مدينة الرور ، حيث ذكر أنه حين دخل معبد المدينة ، رأى صنماً من الذهب الخالص ، على شكل حصان مكللاً بالجواهر وفي يده سوار من الزمرد ، فأخذ ابن القاسم ما في يد الصنم ، ثم دعا كاهن المعبد وسأله هل هذا معبودك ؟ فأجابه: نعم ، فقال له: ألا ترى شيئاً ينقصه ؟ فقال: نعم فإن إحدى يديه خاليه ، فقال ابن القاسم للكاهن: وأين سواره ؟ فأطرق الكاهن برأسه الى الأرض ، فضحك محمد بن القاسم ثم قال له : إنه لا يعلم شيئاً ، إنه حجر أصم ...[٢].

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن هذه الواقعة انظر: المقرى ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج١ ، بيروت (ب.ت) ، ص٢٢٥.

(٢) الكوفى ، فتحنامه ، ص٢٠٤-٢٠٥.

ويبدو هنا تأثر الكتاب بقصة النبي إبراهيم عليه السلام فى مجادلته مع قومه بشأن الأصنام التي كانوا يعبدونها ، ثم تحطيمها ، ثم دعوته لهم ليسألوا التماثيل عمن حطمها ، مما جعلهم يعجزون عن الرد عليه[١].

أما الموضع الثاني الذي وضح فيه التأثر بالقصص الديني ، عندما ذكر الكوفي قصة جيسيه بن الملك داهر مع جنكي أخت أحد الملوك الهنود ، حينما حل جيسيه ضيفاً على أخيها الملك ، وأعجبت به ، حيث كان شاباً وسيماً ممشوقاً ووجهه مليحاً ، وذو سيرة كريمة ، بالإضافة الى كونه ابن ملوك ، ووقع حبه في قلبها ، فراودته عن نفسه فاستعصم ، فادعت عليه زوراً وبهتاناً أنه راودها عن نفسها، وكاد الملك أن يقتل جيسيه ، إلا أن الأخير كشف نوايا الملك وغادر قصره[٢].

---

(١) ومن ذلك قوله تعالى فى سورة الأنبياء: (فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ {٥٨} قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ {٥٩} قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ {٦٠} قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ {٦١} قَالُوا ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ {٦٢} قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ {٦٣}). وراجع أيضاً: ابن كثير ، قصص الأنبياء ، تحقيق: عبد الحي الفرماوي ، القاهرة ١٩٩٧ ، ص١٨٣-١٨٦.

(٢) الكوفى ، فتحنامه ، ص٢٠٦.

ويبدو تأثره هنا بقصة النبي يوسف مع زليخة زوجة عزيز مصر التى وردت بالقرآن الكريم ، والتى تحكى كيف افتتنت زليخة بيوسف وراودته عن نفسه ، لكنه رفض غوايتها[١].

والأمر نفسه ينسحب على استخدامه أحياناً بعض الآيات القرآنية بصورة مقحمة على الأحداث ، فخلال روايته عن حصار محمد بن القاسم لمدينة الرور ، ذكر أنه أرسل إليهم (لادي) أرملة الملك داهر لتقنعهم بالاستسلام للمسلمين ، فذكر أنها قالت لهم: أنا لادي زوجة مليككم داهر ، لقد قتل مليكنا ، وأرسلوا برأسه الى العراق مع الرايات والعبيد والأموال فلا تهلكوا أنفسكم بدون طائل ، وقد قال تعالى: (وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)[٢] ، ثم صاحت وبكت وولولت ...[٣].

ووضع الآية هنا غريب ، فمن المعروف أن أرملة داهر لم تسلم ، وحتى لو أسلمت ، فأنها لن تخاطب قومها وهم على غير ملة الإسلام ، بآيات قرآنية لن

---

(١) ومن ذلك قوله تعالى فى سورة يوسف: (وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ{٢٣}). وراجع أيضاً: ابن كثير ، قصص الأنبياء ، ص٣٠٣-٣٠٤.

(٢) الآية رقم ١٩٥ – سورة البقرة.

(٣) الكوفي ، فتحنامه ، ص٢٠٢.

يفهموها ، ويبدو هنا أن الكوفي قد أضاف هذه الآية من عنده ، لكنها تبدو غريبة فى سياق الأحداث.

كما ظهر تأثير ثقافته الإسلامية أيضاً فى استخدام بعض الألفاظ الإسلامية فى غير موضعها ، فخلال حديثه عن الرسالة التى بعث بها ملك السند داهر إلى محمد بن القاسم ، ذكر أن داهر افتتح الرسالة بعبارة: (بسم الله العظيم ذي الوحدانية)[١]، واستخدام البسملة كفاتحة للرسائل تقليد إسلامي خالص ، ويتعارض مع فكر داهر ومعتقداته ، وتبدو هنا بوضوح أنها إضافة من الكوفي.

كما وضح ذلك فى قصة جيسيه وجنكى ، فحين أراد جيسيه أن يلفت نظر جنكى إلى خطأ تفكيرها فى إقامة علاقة آثمة معه قال لها: يا ابنة الملوك ، نحن ما عدا الحلال والنكاح الشرعي ، لا يمكن أن ننظر إلى عورة الأخريات "[٢]. وتبدو هنا جملة (الحلال والنكاح الشرعي) غير مستقيمة مع واقع الأحداث ، وثقافة ملك هندى غير مسلم ، فهي عبارة إسلامية خالصة ، وتبدو هنا مقحمة من جانب الكوفي على سياق الأحداث.

---

(١) الكوفي ، فتحنامه ، ص١١٣.

(٢) المصدر نفسه ، ص٢٠٧.

كما ظهر فى بعض الأحيان تأثر الكوفي بعصره ، فكان يستخدم فى رواياته فى بعض المصطلحات التى تنتمى لعصره ، وليس العصر الذى وقعت فيه أحداث روايته. ومن ذلك ، اللقب الذى أطلقه على محمد بن القاسم ، وهو (عماد الدولة والدين)[١]، وهذه الألقاب لم تظهر فى العصر الأموي ، بل ظهرت فيما بعد خلال العصر العباسي. ما رواه عن استقبال بعض القبائل السندية لمحمد بن القاسم بحفاوة بالغة ، جعلته يقرر مكافأتهم ، فوزع عليهم (عشرين ديناراً مغربياً)[٢]. ومن المعروف أن العملات المغربية لم تظهر فى السند إلا فى القرن الرابع الهجري ، وارتبطت بالخلافة الفاطمية، حين نجح الفاطميون فى الاستيلاء على جزء من السند ، وإقامة إمارة لهم هناك ، وضربت فيها العملة على الطراز الفاطمى[٣].

ويعيب الكوفي عدم دقته فى بعض الأحيان ، فهناك العديد من الأخطاء التاريخية الواضحة فى الأحداث التى يرويها ، ومنها على سبيل المثال: أنه ذكر أن خلافة علي بن أبي طالب بدأت سنة ٣٨هـ/٦٥٨م[٤]، والصحيح أنها بدأت بعد مقتل

---

(١) الكوفي ، فتحنامه ، ص٣١.

(٢) المصدر نفسه ، ص٢٠٠.

(٣) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٤٨٢ ، ٤٨٥.

(٤) الكوفي ، فتحنامه ، ص٨٦.

عثمان بن عفان على يد الخوارج سنة ٣٥هـ/٦٥٥م[1]. كذلك أشار الكوفي الى أن قيام دولة بني أمية ، وبداية عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان كان في سنة ٤٤هـ/٦٦٤م[2]، والصحيح أن معاوية تولى الخلافة سنة ٤١هـ/٦٦١م[3].

كما ذكر أن ابن القاسم كان صهراً للحجاج[4]، وهو أمر غير صحيح ، لأن الحجاج لم يكن له بنات ، ولم يكن له سوى أخت واحدة ، وكانت متزوجة من ابن عمها، وابن القاسم نفسه كان متزوجاً من بنى سعد بن تميم[5]. وهو يناقض نفسه بعد ذلك ؛ حين يذكر أن ابن القاسم كان قد طلب مصاهرة الحجاج لكن الحجاج رفض فلما ألح فى طلبه اشترط عليه أن يكون ذلك بعد أن يفتح الهند[6]. أى أنه وفق هذه الرواية – برغم التحفظ على مسألة ابنة الحجاج– لم تتم المصاهرة فى الأساس.

ومن الأخطاء التاريخية الأخرى فى كتابه ؛ ما يتعلق بمصير محمد بن القاسم، فقد ذكر أن نهاية ابن القاسم كانت على يد الخليفة الوليد بن عبد الملك ، نتيجة

---

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص٤٢٧.

(٢) الكوفي ، فتحنامه ، ص٨٨.

(٣) ابن الأثير ، الكامل ن ج٣ ، ص٢٧١.

(٤) الكوفي ، المصدر السابق ، ص١٠٠.

(٥) ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص٢٦٧–٢٦٨

(٦) الكوفي ، المصدر السابق ، ص١٧٦.

سلوكه المشين مع ابنة داهر[١] ، لكن الثابت تاريخياً أن محمد بن القاسم كان ضحية علاقته بالحجاج الثقفي ، حيث عزله الخليفة سليمان بن عبد الملك الذى كان يكره الحجاج ، ثم سقط صريعاً بعد ذلك على يد بعض الموتورين من الحجاج[٢].

وبجانب هذه الأخطاء هناك كثير من الروايات المتناقضة التى يوردها الكوفى ، وتدل على عدم دقته فى متابعة وتقييم ما يكتب ، ومن ذلك ؛ الرواية الخاصة بمصير ابنة أخت الملك داهر ، والتى تم إرسالها ضمن مجموعة من الأسرى لبلاط الخليفة الوليد بن عبد الملك ، فقد ذكر الكوفي أن الخليفة وهبها لأحد الحاضرين فى مجلسه ويدعى (كعب) ، فقبلها وتزوجها بعد ذلك[٣]. ثم يعود في موضع آخر من الكتاب نفسه فيذكر أن أحد الحاضرين فى مجلس الخليفة الوليد ويدعى (علي) ، أعجبته فطلبها من الخليفة فوهبها إياه[٤].

كما ذكر روايتان متناقضتان حول مصير محمد العلافي ، حيث يروي في الأولى أن العلافي بعد أن انفصل عن الملك داهر ؛ ذهب الى إلى إحدى الممالك فى شمال السند ، وبقي هناك حتى مقتل داهر ، ثم أعطاه محمد بن القاسم الأمان بعد

---

(١) الكوفي ، فتحنامه ، ص ٢١٩ – ٢٢٢

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٦١٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ، ص٢٨٧.

(٣) الكوفى ، المصدر السابق ، ص ١٧٧.

(٤) الكوفي ، المصدر نفسه ، ص ١٨٠.

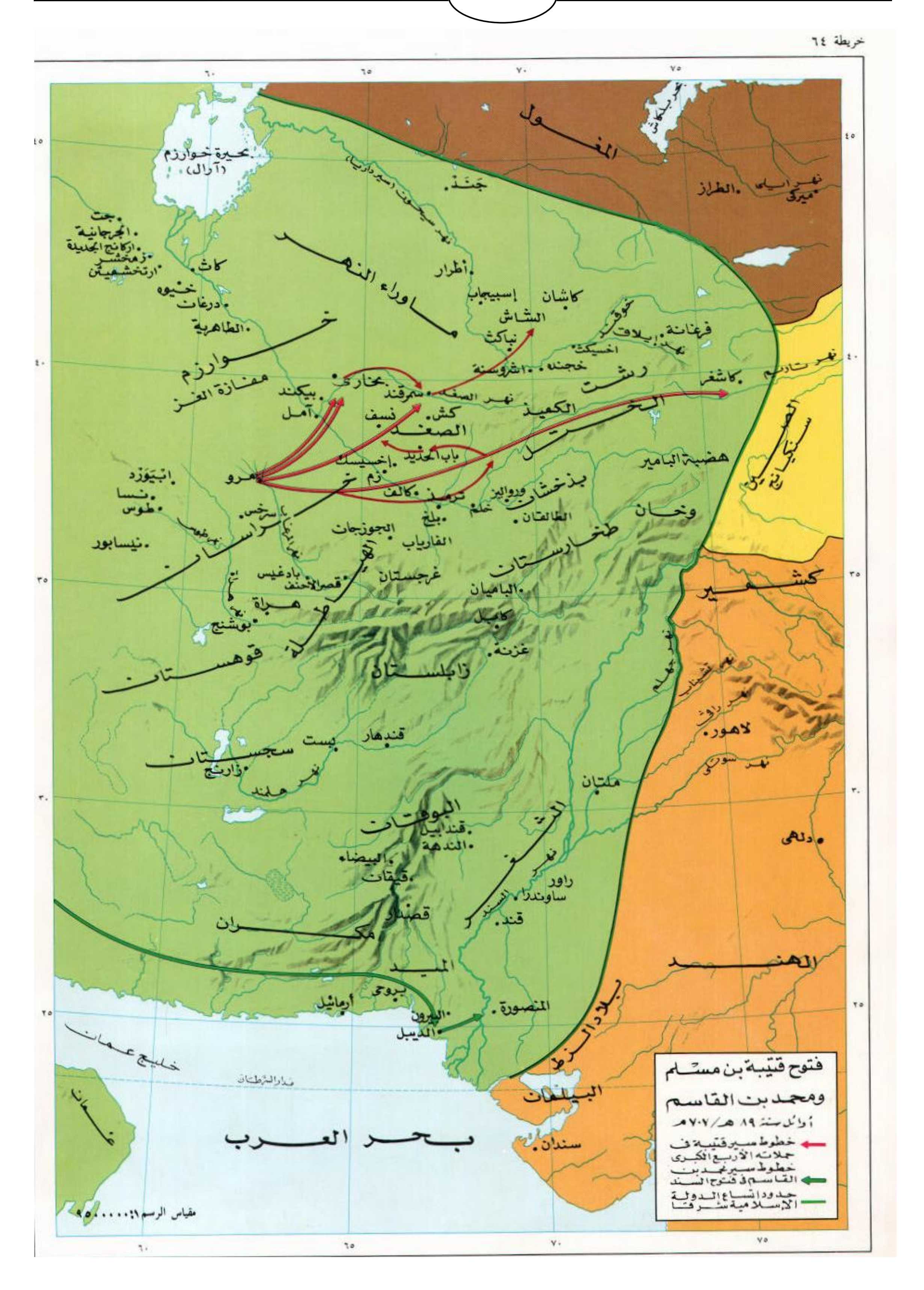
ذلك ، ثم استقر العلافي في مدينة ملتان حتى توفي هناك[1]. لكنه يعود في موضع آخر فيذكر رواية أخرى عن مصير العلافي ، حيث يذكر أنه ترك محمد بن القاسم واتجه إلى مملكة كشمير ، حيث عاش فى كنف ملكها حتى وافاه الأجل[2]. وكما يبدو هنا ، فإنه لم يحدد بدقة مصير محمد العلافي ، بل أعطانا روايتان مختلفتان حول مصيره الذى لا نعرف عنه الكثير ، خاصة وأن ما ذكره البلاذري عن محمد العلافى لم يحدد فيه مصيره[3].

(١)الكوفي ، فتحنامه ، ص ١٥٣.

(٢) الكوفي ، المصدر نفسه ، ص ١٨٥.

(٣) فتوح البلدان ، ص٦١١.

الخرائط



خريطة توضح بدايات حملة محمد بن القاسم على السند. نقلاً عن: حسين مؤنس ، أطلس تاريخ الإسلام ، ص١١٨.



خريطة توضح حركة الفتوحات في المشرق بوجه عام خلال العصر الأموي

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية :-

- ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ، بيروت ١٩٨٦ .

----- : أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق الشيخ علي معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت.

------: النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر الحمزاوى ، محمود الطناحى ، القاهرة ، ١٩٦٣.

- الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، القاهرة ١٩٩٤.
- ابن بطوطة، تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج٣ ، تحقيق: عبد الهادي التازي، الرباط ١٩٩٧ .
- البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١٢، تحقيق: بشار عواد ، بيروت ، ٢٠٠١.
- البيرونى ، الجماهر في معرفة الجواهر، حيدر آباد ، ١٣٥٥ هـ .

------ تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة للعقل أو مرذولة ، تحقيق: ساخو ، فرانكفورت، ١٩٩٣

- الجاحظ ، كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان، ج٥ ، تحقيق: عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت (ب.ت).
- ابن الجوزي ، تلبيس إبليس ، تحقيق محمد الصباح ، بيروت ، ١٩٨٩.

- الحسيني فخر الدين ، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ، ج١ ، الدكن ١٩٦٢.
- ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج١ ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٦٣.
- ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ج٢ ، القاهرة (ب.ت)
- ابن حوقل ، صورة الأرض ، ليدن ١٩٣٩.
- ابن خرداذبه ، المسالك والممالك، نشر دى غويه ، ليدن ، ١٨٨٩.
- ابن خياط ، تاريخ بن خياط ، ج١، تحقيق سهيل زكار ، دمشق ، ١٩٦٧.
- الدينورى، الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، مراجعة جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦٠
- الذهبي ، العبر فى خبر من غبر ، ج١ ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، الكويت ١٩٦٠
- ------ سير أعلام النبلاء ، تحقيق د. بشار عواد معروف ، ط١ ، مؤسسة الرسالة للنشر ، بيروت.
- الزبير بن بكار القرشى ، جمهرة نسب قريش وأخبارها ، ج٢ ، تحقيق : عباس هانى الجراخ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠١٠.
- الزُهرى ، كتاب الجغْرافية ، تحقيق: محمد حاج صادق ، القاهرة (ب.ت)

- سليمان التاجر ، أخبار الصين والهند ، نشر جان سوفاجيه ، باريس ، ١٩٤٨.
- السيرافى ، رحلة السيرافى ، بغداد ١٩٥٦ .
- الصفدى ابن آيبك ، الوافى بالوفيات ، ج١ ، بيروت ، ١٩٧٠ .
- الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ١ ، تحقيق محمد أبو الفضل، القاهرة ١٩٧٧.
- ابن العماد ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق محمد الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، بيروت ، ١٩٨٨ .
- العمري ، مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ، ج٣ ، تحقيق: محمد عبد القادر خريسات ، الإمارات ٢٠٠١ .
- الغزالى ، التبر المسبوك فى نصيحة الملوك ، بيروت ١٩٨٨
- الفرذدق ، ديوان الفرزدق ، دار صادر ، بيروت (ب.ت)
- القزويني ،آثار البلاد وأخبار العباد، دار بيروت للطباعة ، بيروت، ١٩٧٩.
- ابن قيم الجوزية ، أحكام أهل الذمة ، ج١ ، دمشق ، ١٩٦١.
- ابن كثير ، قصص الأنبياء ، تحقيق عبد الحي الفرماوي ، القاهرة ١٩٩٧
- الكرديزى ، زين الأخبار ، تحقيق عفاف زيدان ، القاهرة ، ١٩٨٢ ٠
- الكوفي ، فتحنامه سند ، تحقيق بلوش ، دمشق ١٩٩١.

- ابن ماجة ، سنن ابن ماجة، كتاب الجهاد ، القاهرة ١٩٦٠.
- الماوردى ، نصيحة الملوك ، تحقيق: خضر محمد خضر ، الكويت ١٩٨٣.
- المزي ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، ج٣٣ ، تحقيق: بشار عواد ، بيروت ١٩٨٣.
- المسعودى، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ١٣٤٦
- المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ١٩٠٩.
- المقرى، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج١ ، بيروت (ب.ت) .
- النسائى، كتاب السنن الكبرى، تحقيق عبد الغفار سليمان ، سيد حسن ، ج٣، بيروت ، ١٩٩١ ٠
- ابن النعيم ، كتاب الفتن ، تحقيق : سهيل زكار ، بيروت ١٩٩٣ .
- الهروى ، طبقات أكبرى ، ج٣ ، ترجمة أحمد عبد القادر الشاذلى ، القاهرة ١٩٩٥.
- الهيثمى ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، ج٥ ، القاهرة ١٤٠٧هـ ٠
- ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج٥ ، بيروت (ب.ت) .
- أبو يوسف ، كتاب الخراج ، القاهرة ، ١٣٩٦ هـ.

ثانياً : **المصادر الفارسية**:

- **الجوزجانى ، طبقات ناصري ، كابل ١٣٤٢.**
- **العوفي ، كتاب لباب الألباب ، ج٢ ، ليدن ١٩٠٣ ٠**
- **فرشته ، تاريخ فرشته ، بومباى ١٩٠٠**
-

ثالثاً: **المراجع العربية والمعربة** :-

- **إدوارد براون ، تاريخ الأدب في إيران ، ج١ ، ت. أحمد كمال الدين حلمي، القاهرة ٢٠٠٥ .**
- **أكبر، فايزة اسماعيل ، الزط وموقعهم في التاريخ الإسلامي ، مجلة العصور ، المجلد الثامن ، ١٩٩٣.**
- **البلوشى، إبراهيم ، ميناء ديبل عند الفتح الإسلامي، مجلة التاريخ العربى، العدد الثالث ، ١٩٩٧،.**
- **جمال الدين، عبد الله محمد ، التاريخ والحضارة الإسلامية في الباكستان ، القاهرة ، ١٩٩٠ .**
- **حورانى ، جورج ، العرب والملاحة في المحيط الهندى ت. السيد يعقوب بكر، القاهرة ١٩٦٠.**

- خطاب، محمود شيت ، محمد بن القاسم الثقفى فاتح السند، مجلة المجمع العلمى العراقى ، المجلد ١٦ ، ١٩٦٨ .
- الساداتى ، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، القاهرة ١٩٥٧.
- سميث ، الأسس الجغرافية والاجتماعية للهند ، مجلة ثقافة الهند ، المجلد السابع ، مارس – يونيو ١٩٥٦.
- شلبي أحمد، أديان الهند الكبرى، القاهرة ١٩٨١.
- عبد الحميد رأفت، الصراع الدولي حول شبه الجزيرة العربية في القرن السادس الميلادي، الإمبراطورية البيزنطية، ج١، القاهرة، ٢٠٠٠.
- عبد الرحمن، محمد نصر ، الوجود العربى في الهند في العصور الوسطى ، القاهرة ٢٠١٤.
- العقيلى، محمد أرشيد ، دور الخليج العربى في الفتوحات الإسلامية ، ندوة مكانة الخليج العربى في التاريخ الإسلامى، جامعة الإمارات ، ١٩٨٨.
- علي ، سيد رضوان ، تعريف مدن الهند وتحديدها الواردة في كتاب فتوح البلدان للبلاذري ، مجلة العصور ، المجلد الثانى، الرياض ، ١٩٨٧.
- الغامدي، سعد محمد ، الفتح الاسلامى لبلاد وادى السند ، حوليات كلية الآداب – جامعة الكويت.

- المباركبوري ، العرب والهند في عهد الرسالة ، ت. عبد العزيز عبد الجليل ، القاهرة ١٩٧٣ .
- ------ العقد الثمين فى فتوح الهند وما ورد فيها من الصحابة والتابعين ، القاهرة ١٩٨٠.
- ------ : رجال السند والهند ، القاهرة ١٩٨٨
- -------: من النارجيل إلى النخيل، مجلة ثقافة الهند ، ١٩٦٥
- محمد، التوم الطالب ، فتح إقليم السند وانتشار الثقافة العربية الإسلامية ، مجلة المؤرخ المصرى ، ١٩٨٩.
- محمود، حسن أحمد ، الإسلام والحضارة العربية في أسيا الوسطى بين الفتحين العربى والتركى ، القاهرة ، ١٩٦٨.
- مؤنس ، حسين ، أطلس تاريخ الإسلام ، القاهرة ١٩٨٧.
- الندوى، عبد الحى الحسنى ، الهند في العهد الإسلامي ، الدكن ١٩٧٢
- الندوي، محمد اسماعيل ، الهند القديمة حضاراتها ودياناتها ، القاهرة ١٩٧٠.
- لسترانج ، بلدان الخلافة الإسلامية ، ترجمة بشير فرنسيس ، تحقيق: كوركيس عواد ، بغداد ١٩٥٤.
- لوبون ، جوستاف ، حضارات الهند ، ترجمة عادل زعيتر ، القاهرة ، ١٩٤٨.

- هايد ، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى ، ج١، ترجمة. أحمد محمد رضا ، القاهرة ١٩٨٥.

-

رابعاً: المراجع الأجنبية :

- Ahmed, M., " The long Thirteenth Century of the Chachnama ", The Indian Economic and Social History Review, 49, 4 (2012)
- Ayalon (ed.), Studies in memory of Gaston Wiet, (Jerusalem, 1977
- Baloch, N.,"The probable date of the First Arab expeditions to India", Islamic Culture, 20 (1946)
- ----------" Fatehnama and its Sources ", Proceeding of Pakistan Historical Conference, (1955).
- ----------"The probable date of the First Arab expeditions to India", Islamic Culture, 20 (1946).
- Brown, J., “ The history of Islam in India “, Muslim World, 39 (1949)
- Friedmann, Y., “ A contribution to the early history of Islam in India “, in Myriam Rosen –
- --------, “ Minor problems in Al-Balduris account of the conquest of Sind ” RSO , 45 (1970)
- ---------, “ The Temple of Multan, A Not on Early Muslim Attitudes to Idolatry”, IOS, 2 (1972)
- Haig, N., “ On sites of Bramanabad and Mansura in Sind “ , Journal of Royal Asiatic Society, xvi (1886)
- Ishaq, M., "A peep into the First Arab expeditions on India under the companions of the Prophet", Islamic Culture, 19 (1945)

- Jehangir, J., The Arabs in Sind , 712-1026 A.D., Ph.D, diss., (University of Utah) 1973.
- Lanepoole, S., Medieval India under Mohammedan rule,(London , 1971)
- Lari, Z., A history of Sindh, (Oxford, 1994)
- Mahajan, D., Muslim Rule in India, (New Delhi, 1970)
- Majumdar, C., An advanced history of India, (London, 1950
- Mirza Kalichbeg Fredunbeg, The Chachnamah - An Ancient History of Sind, Maryland 2004
- Nadvi, S., "Muslim colonies in India before the Muslim conquest ", Islamic Culture 8 (1934
- ---------, “The Early Relation between Arabia and India ", Islamic Culture, 11 (1937)
- Nigam, S., "Religious attitude of Muslim rules in India", Islamic Culture, 56 (1982)
- --------- “ Religious Attitudes of Muslim Rulers in India (711 A.D - 1388 A.D)”, Islamic Culture, 56(1982)
- Prassad , I., History of Medieval India, (Allahabad ,1952)
- Plata, J., A dictionary of Urdu, classical Hindi and English, (Lahore, 1983)
- Qureshi , The Muslim Community of the Indo-Pakistan Subcontinent , (The Hague, 1962)
- Saddiqi, M., “India as known to the ancient Arabs ", Indo – Asian Culture , 5 (195).
- Spate, O., India and Pakistan, a general and regional geography, (London, 1954)ز
- Titus, M., Islam in India and Pakistan, (Calcutta, 1959).